

النبة المخرة
ف الرء على
من ىرء على
أولىاء الله الخىرة

العلامة المءءء
مءءء الحجوءى

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وسلم

يتفق العلماء المنصفون أن التصوف هو أسمى درجات الإحسان و أرقاها مكانة ومضمونة، مما لا يدع مجالاً للشك على أنه جوهر الدين ولبه، وخريدته التي تطوف حولها كافة درره النفيسة، إذا ألقينا نظرة ولو بسيطة حول الحقبة التاريخية للتصوف ببلادنا(المغرب) وما عرفه هذا التيار من انتشار رقعة هذا لوطن الكبير، نجد أن تلك الفترة كانت تمتثل هامة الأمة وأوج الفهم و المعرفة الحقيقية للدين، اعتقاداً وتطبيقاً وممارسة وسلوكاً. فقد كان التصوف حينها و لازال بمثابة القبس التي تستمد منه هذه الأمة وجودها، تحت قيم روحية أصلية، متكاملة مترابطة، بعيدة عن كل غلو وتشدد، داعية للسلم و المحبة و الإخاء، و نابذة للتفرقة و انصداع الصف و العدوان و ما إليها. و للتصوف أعلام و شيوخ كبار، يرجع إليهم و يهتدى بإرشادهم من طرف كثير من معاصريهم، من فقهاء و أدباء و باحثين و غيرهم، بالإضافة لما كان يشكله هؤلاء الصوفية من مدارس أخلاقية كبيرة، قائمة على الورع واليقين، والرضا بأمر الله و الإخلاص إليه، و التخلق بالأخلاق الفاضلة والصفات الحمديّة النبيلة.

ومن هؤلاء الأعلام الفقيه المحدث الحافظ الصوفي الشريف الحسيني سيدي محمد بن محمد الحجوجي رضي الله عنه، صاحب التصانيف الكثيرة في الحديث و الفقه و التصوف و غيره، وهو عالم كبير، من عظماء أعلام الإسلام في عصره، ولا نغالي إن قلنا أنه رائد علم الحديث في عهده، وأحد حفاظه دون منازع.

وقد لفت انتباهي الكثير من مؤلفات هذا العالم الجليل، وقمت ولله الحمد بتحقيق بعضها و تقديمه للطباعة، ومن هذه الكتب هذا التأليف القيم الذي يحمل عنوان: النبذة المختصرة، في الرد على من يرد على أولياء الله الخيرة.

موضوع الكتاب

هو كتاب مفيد، عمل مؤلفه من خلاله على إظهار بعض مزايا مجالس الذكر وخصائصها الجمّة، مفندا في الوقت نفسه ترهات من يطعنون في هذه المجالس ويصنفونها في مجال البدعة، و أنها شيء محدث لم يكن عليه العمل إبان عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا إبان عهد خلفائه الراشدين.

وخلاصة القول فقد تحدث المؤلف بإسهاب حول هذا الموضوع، وبحث عالم متعمق متبحر، منور الفكر و الضمير، يذكر آراءه استقلالا و تعليلا بكل شفافية ووضوح، ويجرر مختلف القضايا التي يتطرق إليها تحريرا علميا دقيقا.

وقد استعرض هذا في هذا النطاق مجموعة من الآيات و الأحاديث و الآثار الصحيحة الدالة على شرعية هذه المجالس وسنيتها، و أنها كانت معروفة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كما كانت مقصودة من طرف العديد من أصحابه رضوان الله عليهم، وذلك بشهادة كثير من الأحاديث الواردة في هذا الشأن، وهي أحاديث صحيحة، ومنها ما هو مشهور ومتواتر.

شكل النسخة الخطية من الكتاب مع تاريخ كتابه و الدافع إليه تحتوي النسخة الأصلية من هذا الكتاب على مقدمة، وأربعة أبواب، وتبنيها، وثمانية تتمات، وخاتمة.

و الكتاب في حد ذاته متصل الأسطر، غير مجزأ الفقرات، و لا توجد فيه مراعاة لعلامات الترقيم، ويعود تاريخ فراغ المؤلف من مبيضته إلى 17 رمضان عام 1353 هـ 24 دجنبر 1934 م، وبهذا يكون هذا الكتاب هو أول مؤلفات الفقيه رحمه الله. بمدينة دمنات، غير أن الدافع لتأليفه إياه لم يكن وليد الصدفة، و لا ذا صلة بالمدينة المذكورة، إذ يرجع سبب كتابته له إلى ما عرفته مدينة فاس حينئذ من ظهور بعض التيارات المتشددة، الداعية إلى نبذ الطرق الصوفية و محاربتها، و الطعن في كل ما يمت لها بعلاقة أو صلة.

تعريف مجوز بالمؤلف

هو العلامة المحدث الحافظ الصوفي الفقيه محمد بن محمد الحجوجي الحسيني الإدريسي، من بيت علم ودين و ولاية وصلاح خلفا عن سلف، وهو من مواليد 27 رمضان المعظم عام 1297 هـ - غشت 1880م، بمدينة فاس، و بها و تعلم، فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة من عمره، ثم اهتم بعد ذلك بطلب العلم، فأخذ عن جماعة من جلة علماء القرويين، كالفقيه سيدي محمد (فتح) كنون، و عبد الملك العلوي الضرير، وأحمد بن الخياط، و محمد (فتح) القادري، و محمد بن جعفر الكتاني و آخرين.

و ألف رحمه الله كتب كثيرة في مجالات مختلفة بين حديث و فقه و تصوف و تفسير و أدب، و تزيد مصنفاة على المائة. منها فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، في مجلدين، و إتخاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، في ثمان مجلدات،

وتذكرة المسترشدين في شرح كتاب الضعفاء و المتروكين، وسلافة الصفا في راحم رجال الشفا، وفتح القدير في شرح التاريخ الصغير، إلى غير ذلك من كتب أخرى. وهو إلى جانب ذلك ما ذكرناه من أعلام الطريقة التجانية، بل من دعاها الكبار في عهده، وقد استوطن رحمه الله مدينة دمنا خلال السبعة عشر سنة الأخيرة من عمره، انطلافا من سنة 1353هـ - 1934م، و بما توفي يوم السبت 2 جمادى الثانية عام 1370هـ - 11 مارس 1951م، رحمه الله و رضي عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وآله سلم الحمد لله الذي جعل الذاكرين الله من أهل محبته، و المجتمعين لذلك في أعلى الجنة برحمته، و جعل المنكرين على أوليائه متعرضين لعقوبته، و المسلمين لهم من أهل طاعته، نحمده جل و علا المتجلي بالقهر و الهلاك على من آذى أوليائه، و بالنصر و العز و الإجلال لمن صاحب أصفياه، و أصلي و أسلم على الدرة اليتيمة، و النسمة العظيمة الكريمة، سيد الوجود، و علم الشهود، سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و على آله و أصحابه و أزواجه المنتخبين الخيرة، الكرام البررة، أما بعد: فيقول أفقر العبيد إلى الله محمد بن محمد الحجوجي الحسن: أردت أن أقيد شيئا يسيرا جمعه من كتب شتى فيما يتعلق بفعل إخواننا التجانيين من الإجتماع لذكر الله و الجهر به، و الجواب عما ورد في الذكر سرا، و الكيفية التي يفعلون عشية يوم الجمعة، و ما يتبع ذلك، في الذكر سرا، و مستندهم في الجميع، حملني على هذا التقييد قمع بعض الحسدة لا كثر الله المسلمين أمثاله، لما احتوى عليه قلبه من العناد و التكبر، و إرسال لسانه في خاصة الله من خلقه، و سميته النبذة المختصرة، في الرد على من يرد على أولياء الله الخيرة، و رتبته على مقدمة و أربعة أبواب و خاتمة، فالمقدمة في التحذير من الإنكار على أولياء الله، و الباب الأول فيما ورد من الأحاديث و غيرها في الإجتماع لذكر الله و الترغيب فيه، و الباب الثاني في الترغيب في الذكر بالجهر للجماعة، و الباب الثالث في الجواب عما ورد في الذكر بالسر و تأويله للجماعة إلى الذكر بالجهر، و الباب الرابع في الكيفية التي يفعلون عشية يوم الجمعة و ما مستندهم في الجميع، و الخاتمة في الترغيب في ذكر الله ليشغل الإنسان نفسه بذلك فأقول:

المقدمة

اعلم عافانا الله و إياك بمنه أن الإنكار على العوام فأحرى العلماء فأحرى الأولياء لا يكون إلا على مجمع عليه، قال القاضي عياض أوائل الإكمال: لا ينبغي للآمر بالمعروف و النهي عن المنكر

أن يحمل الناس على اجتهاده و مذهبه، وإنما يغير ما أجمع على إحدائه و إنكاره، و رشح محي الدين النووي كلام عياض قائلًا: أما المختلف فيه فلا إنكار فيه و ليس المقتفي و لا للقاضي أن يتعرض لمن خالفه إذا لم يخالف نص القرآن أو السنة أو الإجماع إهـ... نقله في سنن المهتدين، و نقل أبو عمر بسنده إلى الثوري: إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه إهـ... و قا الشيخ أبو إسحاق الشاطبي: الأولى عندي في كل نازلة يكون لعلماء المذهب فيها قولان فيعمل الناس على موافقة أحدهما، و إن كان مرجوحا في النظر أن لا يتعرض لهم، و إن لم يوجد أنهم قلدوه في الزمن الأول، و جرى به العمل، فإنهم عن حملوا على غير ذلك في ذلك تشويش للعامه و فتح للخصام.

و كذلك لا يجوز لأحد أن ينكر على أحد من الصوفية، بل بالأحرى و قد حذر الناس من الرد على الصوفية ما لم يخالفوا كتابا أو سنة أو إجماعا كما تقدم عن النووي، فمن ذلك ما نقله اليدالي في الذهب الإبريز عن اليواقيت و الجواهر قال: قال شيخ الإسلام المخزومي: لا يجوز للعالم أن ينكر على صوفي إلا إن سلك طريقهم و رآهم خالفوا السنة، و لا يسوغ له الإنكار عليهم حتى يعرف سبعين أمرا، منها معرفة اصطلاحهم في التجلي الذاتي و الصوري، و ما هي الذات و ذات الذات، و معرفة حضرات الأسماء و الصفات، و الفرق بين الحضرات، و الفرق بين الأحدية و الواحدية، و معرفة سر الظهور و البطون، و الأزل و الأبد، و عالم الغيب و الكون و الشهادة، و عالم الماهية و الهوية، و السكر و المحبة، و من هو صادق في السكر حتى يسامح، و الكاذب في السكر حتى يؤاخذ و غير ذلك.

في الكوكب الوقاد قال شيخ الإسلام المخزومي: يجب على المنكر ألا ينكر إلا بعد أن يطالع معجزات الأنبياء و كرامات الأولياء، و يلازم مطالعة التفسير و التأويل، و يعرف أسرار الكتاب و السنة، و يكثر التأمل و النظر في آيات الصفات و أخبارها، و اطلاعه على ما قاله السلف و الخلف في ذلك، و يعرف من أخذ بالظاهر و من قال بالتأويل، و من دليله أقوى و أرجح و يكثر الغوص على منازع المجتهدين و أدلتهم التي استندوا إليها من كتاب أو سنة أو قياس، إلى أن قال فمن لم يرتقي إلى هذه المقامات، و لم يشم نفحة من نفحات التجليات، و لم يذق ثمرة من ثمرات التدليات، و لم يرتشف من بحار الولايات، فكيف أن يعبر بكلامهم أو ينكر عليهم في سيرهم و مقاماتهم مما هو عنه بمنعزل إهـ....

وفيه أيضا قال الشيخ بدر الدين الزركشي لا تسمع فتوى شخص في القوم إلا بعد تحقيقه لاصطلاحاتهم، ومعرفة لحقائق ألفاظهم، كما لا تسمع فتوى الأصولي و النحوي في الفقه لعدم إحاطته و إتقانه لذلك، إذ علم النحو و الأصول إنما هما آلة لتحقيق الفقه لا أنهما عينه، فإن فعلا فقد ضللا وأضلا، وكذلك من لا معرفة له باصطلاح القوم فإنه إذا سمع قولهم بغير تحقيق مقصدهم، و معرفة فحوى إشارتهم اهتمهم، لأنه إذا سمع قولهم حقيقة التوبة التوبة من التوبة فينكر ذلك، فإذا عرف أن مرادهم بذلك اتهام انفيهم في إخلاص التوبة ورؤيتها رجوع عن إنكاره، قال: وكان إمام الحرمين¹ رحمه الله يقول: لو قيل لنا فعلوا ما يقتضي الكفر ويؤدي إلى التضليل من عبارات القوم لقلنا هذا طمع في غيرمطمع، فإنه أمر بعيد المدرك، وعر المسلك يمد من تيار بحور التوحيد، ومن لم يحط علما بنهاية الحقائق لم يحصل من التفكير إلا على ما يضره، فيكون كالباحث على حتفه بظلفه، أو النار كالمتلقي النار عن نفسه بأنفه، إذ ربما أراد أن يكفر غيره فيقع سهمه في بجره إهـ... .

فإذا تمهد هذا فاعلم أن المنكر على أولياء الله تعالى ساقط من عين الله وهالك في الدنيا والآخرة، وأنه في لعنة الله ومحاربتة، قال عز من قائل، إن الذين يوذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا و الآخرة و أعد لهم عذابا مهينا² و عند بعض المفسرين أي أولياء الله، قال الخطيب³ بعد ذكره احتمالا فتكون على حذف مضاف، على حد قوله تعالى: واسأل القرية⁴، أي أهل القرية، وروى الإمام أحمد بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل: من أهان وليي المؤمن فقد استقبلني بالمحاربة⁵، وفي حديث ميمونة فقد استحل محاربي⁶، و في حديث أنس: من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الأسد الجريء، وفي حديث لمعاذ: ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة⁷ وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته

¹- إشارة للعلامة عبد الملك بن عبد الله الجويني الملقب بإمام الحرمين

²- سورة الأحزاب الآية 57

³- إشارة إلى للعلامة أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المشهور باسم الخطيب البغدادي

⁴- سورة يوسف الآية 82

⁵-انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (كتاب الرقاق) باب التواضع 13:7834

⁶-مسند الإمام أحمد (حديث السيدة عائشة رضي الله عنها) 7: 365 رقم 25794. مجمع الزوائد (كتاب الزهد) باب فيمن أذى أولياء الله 10: 476

رقم 17950 (كتاب الصلاة) باب فضل الصلاة 2: 513 رقم 3498، جامع الأحاديث و المراسيل (حرف القاف) 5: رقم 15146، كثر العمال

(المجلد الأول) 1: 76

⁷-المستدرک، للحاكم (كتاب الإيمان) صفة أولياء الله تعالى و التحذير من معاداتهم 1: 44. الترغيب و الترهيب، للمنذري (كتاب النية) 1: 34

رقم 49 (كتاب الأدب و غيره) 3: 298 رقم 4151 (كتاب التوبة و الزهد) 4: 74 رقم 4854.

بالحرب¹، قال الفشني في شرح الأربعين النووية: معنى من آذى وليا أي اتخذه عدوا فقد آذنته بالحرب، أي أعلمته بأني محارب له بمعنى أبي مهلكه إهـ... .

قال الفاكهاني: من حارب الله أهلته²، وقال غيره أولياء الله تعالى علامة على سوء الخاتمة، كأ: الربا عافانا الله إهـ... . وقال الشيخ أبو سعود رضي الله عنه: من وقع في عرض ولي أو أنكر عليه ابتلاه الله بموت القلب، ولم يمت قلبه حتى تفسد عقيدته، وقال أيضا: فو الله منذ عقلت إلى اليوم ما رأيت أحدا شوش على الفقراء أو أساء الظن بهم فأفلح، ولا رأيت أحدا أحسن إليهم الظن فخاب، وقال ابن حجر: واحذر من الإنكار فإنه يوقع المنكر في العثا، والتعنث مذموم، و الحق أحق أن يتبع، والباطل عن هؤلاء الأئمة قد اندفع.

وفي لطائف المنن عقب الحديث المتقدم من عادى لي وليا إلخ... ما نصه فاصغي رحمك الله إلى ما تضمنه هذا الحديث من غزارة الولي وفخامة رتبته حتى المتزلة، و يحله هذه المرتبة بقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، لأن الولي لما خرج عن تديره إلى تدير الله، وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له، وعن حوله وقوته إلى حول الله وقوته، فصدق التوكل على الله عز وجل نصره، وكان حقا علينا نصر المؤمنين³، إنما كان ذلك لهم لأهم جعلوا الله مكان همومهم، فرفع عنهم الأغيار، وقام لهم بوجود الانتصار، ثم قال بعد الكلام: ولقد سمعت شيخنا أبا العباس المرسي رضي الله عنه يقول: ولي الله مع كولد اللبوة في حجرها، أتراها تاركة ولدها لمن يريد اغتياله إهـ... . وقال أبو العباس المرسي أيضا رضي الله عنه: لحوم الأولياء مسمومة وإن لم يأخذوك فإياك ثم إياك، وقال بعض العارفين: من رأيتموه يؤذي الأولياء وينكر مذاهب الأصفياء فاعلموا أنه محارب الله مبعد مطرود من حقيقة حزب الله إهـ... .

وقال الشعراني رضي الله عنه: أجمع أهل الكشف أنه ما أنكر أحد شيئا أخبر به أهل الكشف إلا حرمه، ولو بلغ الغاية في السلوك عقوبة له إهـ... . ونقل عن شيخه سيدي محمد المغربي⁴ انه قال: إذا أراد الله ان يسلب إيمان عبد عند الموت سلطه على ولي من أوليائه فيؤذيه إهـ... . وقال الشيخ سيدي المختار الكنتي في جذوة الأنوار، و في الحكم الداودية: إنما جل وأزكى و أرحم من جد في

¹ - صحيح البخاري (كتاب البخاري) باب التواضع رقم الترجمة 6502

² - انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (كتاب الرقاق) باب التواضع 13: 7824

³ - سورة الروم الآية 47

⁴ - محمد المغربي الشاذلي، صوفي مشهور، من ضمن الشيوخ الذين تتلمذ عليهم العلامة الشهير عبد الوها بالشعراني، وهو من أصل تركي، وإنما اشتهر بالمغربي لأن أمه تزوجت مغربيا، توفي بعد عام 910 هـ ودفن بالقرافة بمصر، انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني 2: 117-155

طاعتي، و خضع لجلالي، و عظم شعائري، و أطاع أنبيائي، و أحب أوليائي، وإنما أنتقم ممن تهاون بجلالي و لم يعظم بشعائري، و لم يطع أنبيائي، و لم يعظم أوليائي لجلالي، حلفت أن لا يؤذيهم أحد إلا أهنته في الدنيا و الآخرة، و أقررت عينهم بملكته إهـ... .

و قال ابن حجر¹ جاء عن المشايخ العارفين و الأئمة الوارثين أنهم قالوا: أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم، قالوا: و يخشى عليه سوء الخاتمة و العياد بالله، و قال الشعراي رضي الله عنه في لطائف المنن: إياك أيها الأخ أن تصغى إلى الواقعين في هذه الطائفة و المستهزئين لثلاث تسقط من عين الله، و تستوجب المقت من الله، فإن هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق، و إخلاص الوفاء، و مراقبة الأنفاس مع الله، قد سلموا قيادهم إليه، و ألقوا أنفسهم سلبا بين يديه، تركوا الانتصار لأنفسهم حياء من ربوبيتهم لهم، و اكتفوا بقيومته فقام لهم بأوفى ما يقومون به لأنفسهم، و كان هو المحارب عنهم لمن حاربهم و الغالب لمن غالبهم،

و لقد ابتلى الله سبحانه هذه الطائفة بالخلق خصوصا أهل العلم الظاهر، فقل أن تجد منهم من شرح الله صدره للتصديق بولي معين، بل يقول لك نعم نعم إن أولياء الله موجودون، ولكن أين هم، فلا تذكر له أحدا إلا و أخذ يدفع عنه خصوصية الله فيه، و أطلق لسانه بالاحتجاج عاريا من وجود نور التصديق، فاحذر ممن هذا وصفه و فر منه فرارك من الأسد، جعلنا الله و إياك من المصدقين لأوليائه يمنه و كرمه إنه على كل شيء قدير إهـ... .

و في العهود الحمديّة أن الشيخ سراج الدين و والد شيخ الإسلام صالح البلقيني مر يوما على باب قوم فوجد زحمة هناك، فقال ما هذه الزحمة، فقالوا له شيخ من أولياء الله تعالى يبيع الحشيش، فقال لو خرج الدجال حينئذ. بمصر لاعتقدوه من شدة جهلهم، كيف يكون شخص حشاش من أولياء الله تعالى، إنما هو من الحرافيش، ثم ولى فسلب الشيخ جميع ما معه حتى الفاتحة، فتنكرت عليه أحواله، و صارت الفتوى تأتي إليه فلا يعرف شيئا، و نسي مل قاله في حق الحشاش، فمكث كذلك في مدرسته بحارة بماء الدين ثلاثة أيام، فدخل عليه فقير فشكى له حاله، فقال هذا من الحشاش الذي أنكرت عليه، فإن الفقير جلس يتوب الناس علة أكل الحشيش فلا يأخذها أحد من يده فيعود إلى أهلها أبدا حتى يموت، فأرسل إليه و استغفر له يرد عليك حالك، فأرسل إليه، فبمجرد ما أقبل الرسول أنشد

ولا نراي ولا نشهد شهادة الزور	نحن الحرافيش لا نسكن عوالي الدور
-------------------------------	----------------------------------

¹ - المراد به العلامة الحافظ ابن حجر الهيتمي

فلو كنا عصاة ببيع الحشيش ما أقدرنا الله على سلب شيخ الإسلام، ثم قال له، أعطني أربعة خرفان معاليق شواء، وأربعمائة رغيف، وتعالى اجلس عندي كل من بعث له قطعة حشيش زن له رطلا و أعطه رغيفا، فشق ذلك على شيخ الإسلام، فمزال به أصحابه حتى فعل ذلك، وصار يزن لكل واحد رطلا ويعطيه رغيفا، والشيخ يتسم ويقول نخليهم في الباطن وأنت تحليهم في الظاهر، إلى أن تمت الأربعة، ثم قال له: اذهب إلى الذي الديك الذي فوق سطح مدرستك واذبحه وكل قلبه يرد عليك علمك، فبالله كيف تنكر على المسلمين بعلم حمله الديك في قلبه، فمن ذلك الوقت ما أنكر البلقيني على أحد من أرباب الأحوال إهـ..

وقال الشعراني أيضا وقع ابن اللبان في حق سيدي أحمد البدوي¹، فسلب القرآن العظيم والعلم والإيمان، فلم يزل يستغيث بالأولياء حتى دل على سيدي ياقوت العرشي² فمضى إلى سيدي أحمد البدوي و كلمه و أجابه، وقال له: أنت أبو الفتيان رد على هذا المسكين رأس ماله، فقال بشرط التوبة، فتاب ورد عليه رأس ماله، وقال في العهود الحمديّة: أخبرني سيدي علي الخواص أن شخصا من لقضاة كان يؤذي سيدي إبراهيم المتبولي وينكر عليه، وكان القاضي سيء الخلق، فلما مات تصور سوء خلقه كلبا أسودا يجلس على نعشه و الناس ينظرون إليه إلى أن نزل معه في القبر إهـ...

وغالب وصف الإنكار لا يكون إلا من المتفقهين المنهمكين في لذاتهم وشهواتهم، قال الإمام الجنيد رضي الله عنه: إذا أراد الله تعالى بالمرید خيرا هداه إلى صحبة الصوفية، ووقاه من صحبة القراء، ولو اشتغلوا بشأنهم وجمع دنياهم ولم يتعرضوا لأولياء الله تعالى، ولم يقصدوا إسقاط جاههم يكفيهم شقاوتهم، لاسيما وهم يطعنون في الصديقين و العارفين، قال: قال الله تعالى يريدون أن يطفئوا نور اله بأفواههم³، كيف يطفئون بنور حسابهم أنوار شمس الصفات التي تبرز من حياة وجوههم، ولألى حدودهم، وأصلها ثابت في أفلاك الوجدانية و السموات القيومية، أو يزيد نورهم على نوره، لأنه تعالى بلا نهاية، ولا نهاية لصفاته إهـ...

¹ - أحمد بن علي ابراهيم الحسيني البدوي، صوفي مشهور، من مواليد مدينة فاس سنة 569هـ، أقام فترة من الزمن بمكة و المدينة، ثم دخل بلاد مصر إبان عهد الملك الظاهر بيبرس وقد عظم شأنه في البلاد المذكورة، وكثر بها أتباعه، توفي بمدينة سنة 675هـ، وبها دفن، أنظر ترجمته في شذرات الذهب لابن عماد 5: 345. الطبقات الكبرى، للشعراني 1: 183. رقم 287. النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي 7: 252. الأعلام للزركلي 1: 175. طبقات الشاذلية الكبرى، للكوهن 66.

² - ياقوت العرشي، صوفي مشهور، من تلامذة الشيخ أبي العباس المرسي، وهو من مواليد بلاد الحبشة، ثم قدم إلى مصر - واتصل بشيخه المذكور، فأخذ عنه وتأدب به، كما لازم خدمته مدة طويلة، توفي بالإسكندرية في 18 جمادى الثانية سنة 707 هـ، أنظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى، لحسن الكوهن 97 رقم 25 الطبقات الكبرى للشعراني 2: 20 رقم 311. من الإسكندرية، لنقولا يوسف 1، 174-175.

³ - سورة التوبة الآية 32

وكان الإمام ابن سعيد اليافعي رضي الله عنه يقول: إن حكم إنكار هؤلاء الجهلة على أهل الطريق حكم ناموسة نفخت على جبل تريد أن تزيله من مكانه بنفخها، ومن عادى أولياء اله فكأنما عادى أنبياء الله، وإن كان لم يبلغ حد التكفير الموجب للخلود في النار، وسئل محي الدين النووي عن الشيخ محي الدين ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه فقال: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت¹، ولكن الذي عندنا أنه يحرم على عاقل أن يسيء الظن بأحد من أولياء الله عز و جل، ويجب يجب عليه أن يؤول أفعالهم وأقوالهم ما دام لم يلحق بدرجتهم، و لا يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق، قال: قال في شرح المهذب: إذا أول فليؤول كلامهم على سبعين وجهها، فإن لم يقبل كلامهم تأويلا منها فليرجع على نفسه باللوم، ويقول لها يحتمل كلام أحبك سبعين وجهها ولا تقبلين تأويلا واحدا، وما ذاك إلا تعنت إهـ..

وقال الشيخ زروق في شرحه لحزب البحر: اعلم أن الاعتقاد أصل كل خير، و الانتقاد أصل كل شر، و شرط الأول عدم الاغترار والثاني عدم الإضرار، ويعجبني قول العارف الكبير مولانا العربي بن السائح² رضي الله عنه محذرا من الركون إلى من قام به وصف الإذابة لأهل الله تعالى.

ألا لا تركزن أبدا لقال	لأهل الله ذي قيل و قال
وحاذر أن ترى ما دمت حيا	بجي المنكرين أخوا احتفال
ولا تأمنهم والزم جفاهم	وضرامهم على مر الليالي
فإذا السم يسري من عيون	لهم أدهى وأنفذ من نبال
و كم سلب الإرادة من فريد	بقرهم فيا له من وبال

¹سورة البقرة الآية 134

² العلامة الولي الصلح سيدي محمد العربي بن محمد السائح الشرقاوي العمري، فقيه، محدث، مفسر، أديب، صوفي، أحد مشاهير رجالات الطريقة الأحمدية التجانية بالمغرب، ولد بمكناسة الزيتونة في فجر يوم عيد الأضحى من عام 1229هـ - 26 نونبر 1814م. أخذ العلم عن جماعة من علية علماء المغرب في عصره منهم: الوليد العراقي الحسيني، وعبد القادر الكوهن، و الهادي بن الشافعي المكناسي، المعروف ببادو، وغيرهم.

وله رضي الله عنه مؤلفات كثيرة منها: بغية المستفيد لشرح منية المرید، وشرح لامية البوصيري، شرح صلاة الفاتح لما أغلق، وتعليق الهمزية، وتعليق على بردة المديح للبوصيري، وشرح للقصيدة الخزرجية، وتعليق على الشمائل الترمذية، و طرر على شرح الأربعين النووية، وتفسير لقوله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم)، وكتاب السعادة الأبدية في الأذكار التجانية الاحمدية، ورحلة عجيبة أبدى فيها وأعاد، و عدة ختمات لصحيح الإمام البخاري. توفي رحمه الله ليلة الأحد في الساعة الحادية عشر 19 رجب الفرد الحرام عام 1309هـ - 18 فبراير 1892م وتولى الصلاة عليه بالرباط العلامة سيدي أحمد بناني الرباطي، ودفن برياضه الفاتح، وهو المحل الذي كان يجلس فيه عند مجالسه الحديثية. انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفتية الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 44، و في نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 137 وفي كشف الحجاب للعلامة سكير ص 313، و في رفع النقاب لنفس المؤلف ج2 ص 40-124 و في الأزهار العطرة الروائح في التعريف بمولانا العربي بن السائح سيدي محمد الحجوجي، و هو الجزء الرابع من سلسلته الفاتحة المسماة: إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، وأنظر الاغتناب لمحمد بوجندار ص 417 و في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج5 ص 429، و في الأعلام بمن حل مراکش، لابن ابراهيم التعارجي ج 7 ص 73-76 وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنيطي رقم الترجمة 27، و في أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين لعبد الله الجارري ج 2 ص 368 وفي موسوعة الام المغرب لحجي ج 8 ص 2788، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 265، و في معجم المطبوعات لإليان سركيس 1319، وخصه العلامة سيدي محمود بن المظطية بتأليف سماه: صبح الولاية اللانح، بترجمة عالم الطريق سيدي العربي بن السائح. وللعبد المذنب محمد الراضي كنون تأليف ترجمته سميت: خلاصة المسك الفاتح في ترجمة سيدي محمد العربي بن السائح، في ثلاثة أجزاء.

فجد حبال ودهم جهارا	وأسقمهم النكال ولا بالي
فإن الله آذهم بحرب	كما قد صح عن خير الرجال
عليه صلاة ربي كل حين	وأزواج وأصحاب وآل

ولو أن الإنسان اشتغل بما يعنيه لنجا، قال الشاعر

إذا شئت أن تحيا ودينك سالم	وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ	فعندك عورات و للناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك معايبا	لناس فقل عين للناس أعين
و عاشر بمعروف و سامح من اعتدى	وفارق ولكن بالتي هي أحسن ¹

وقال آخر:

إذا أنت عبت الناس قالوا فأكثروا	عليك وأبدوا منك ما كنت تستر
متى تلتمس للناس عيبا تجد لهم	عيوبا ولكن الذي فيك أكثر
فسالمهم بالكف عنهم فإنهم	بعيبك من عينيك أهدي وأبصر

قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه: أدركت أناسا بالمدينة لهم فسكتوا عن عيوب الناس فسكت الناس عن عيوبهم، وأدركت أناسا بالمدينة لم تكن لهم عيوب ولكنهم تكلموا في عيوب الناس فأحدث الله لهم عيوباً، إهـ.. وقال مالك بن دينار رضي الله عنه: إذا رأيت قساوة في قلبك، ووهنا في بدنك، وحرمانا في رزقك، فاعلم بأنك تكلمت فيما لا يعينك، ووعظ سيدنا عمر رضي الله عنه رجلاً فقال له: لا تتكلم فيما لا يعينك، واعتزل عدوك وصديقك الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله تعالى، ولا تمشي مع الفاجر فيعلمك من فجوره، وروى أبو عبيدة عن الحسن أنه قال: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن شغله فيما لا يعنيه، وروى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال: من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه²، قال العلماء: ما لا يعني هو

¹ - الأبيات للإمام الشافعي، ولها صيغة أخرى ونصها:

إذا رمت أن تحيا سليما من الردى	ودينك موفور و عرضك صين
فلا ينطقن منك اللسان بسوءة	فكالك سوءات و للناس ألسن
وعينك عن أبدت إليك معانبا	فدعها وقل يا عين للناس أعين
و عاشر بمعروف و سامح من اعتدى	ودافع ولكن بالتي هي أحسن

² - انظر مجمع الزوائد، للهيتمي (كتاب الأدب) باب من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه 8: 40 رقم 12636، رقم 12638. مسند الشهاب القضاعي 1: 143-144 رقم 191، رقم 192، رقم 193، رقم 194، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف الميم) 3: 141 رقم 11149. الأذكار، للنووي (كتاب حفظ اللسان) 1: 334 رقم 1027، و 1: 374 رقم 1133، و 1: 406 رقم 1238.

الفضول كله على اختلاف أنواعه، فالفضول المتعلق بحملة العلم و بأهل الفضل و الصلاح و أكد بالنهي من غيره.

و في الحديث: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده¹، أخرجه البخاري، ولأحمد و ابن حبان من حديث البراء رفعه في ذكر أنواع البر قال: فإن لم تطلق ذلك فكف لسانك إلا من خير² " وللترمذي من حديث ابن عمر من صمت نجاً³، وله من حديثه: كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسي القلوب⁴، وله من حديث سفيان الثقفى: قلت يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علي؟ قال وأشار إلى لسانه⁵، وفي حديث معاذ عند أحمد و الترمذي و النسائي أخبرني بعمل يدخلني الجنة؟ فذكر الوصية بطولها، وفي آخرها: ألا أخبرك بملاك ذلك كله، كف عليك هذا وأشار إلى لسانه⁶، وللترمذي من حديث عقبة بن عامر: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال أمسك لسانك⁷ إلى غير

¹- أنظر صحيح البخاري (كتاب الإيمان) باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده رقم 10 (كتاب الرقاق) باب الانتهاء عن المعاصي رقم 6484. صحيح مسلم (كتاب الإيمان) باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل 2: 10 رقم 125

²- إشارة لحديث البراء بن عازب و نصه: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله علمني عملاً يدخلني الجنة، قال: "لئن كنت أقصرت الخطبة، فقد أعرضت المسألة: أعتق النسمة، وفك الرقبة". قال: أو ليستا بواحدة؟ قال: "لا، عتق النسمة أن تفرد بعنتها، وفك الرقبة أن تعطي في ثمنها، والمنحة الكوف والفيء على ذي الرحم القاطع، فإن لم تطق ذلك، فأطعم الجائع، واسق الظمان، ومر بالمعروف، وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك، فكف لسانك إلا من خير"

أنظره في صحيح ابن حبان (باب استحباب الاجتهاد في أنواع الطاعات في أيام العشر من ذي الحجة) ذكر الخصال التي إذا استعملها المرء أو بعضها كان من أهل الجنة 1: 214 رقم 373، مسند الإمام أحمد (حديث البراء بن عازب رضي الله عنه) 5: 383 رقم 18279، مجمع الزوائد، للهيتمي (كتاب العتق) باب الإعانة فيه 4: 438 رقم 7242. سنن البيهقي الكبرى (كتاب العتق) باب فضل إعتاق النسمة وفك الرقبة 15: 434 رقم 21784، المستدرک، للحاكم (كتاب المكاتب) 2: 236 سنن الدارقطني (كتاب الزكاة) باب الحث على إخراج الصدقة وبيان قسمتها 2: 118.

³- أنظره في كتاب مسند الشهاب القضاعي 1: 219 رقم 334. جامع الأحاديث و المراسيل (حرف الميم مع النون) 7: 58 رقم 20846، منتخب عبد بن حميد 1: 137 رقم 345، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف الميم) 3: 209 رقم 11988، الأذكار للنووي (كتاب حفظ اللسان) فضل حفظ اللسان عن الكلام إلا بخير 1: 335 رقم 1028.

⁴- أنظره في سنن الترمذي (كتب الزهد) باب ما جاء في حفظ اللسان 7: 117 رقم 2455، ونص هذا الحديث عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تكثر الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله فسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي، إهـ.

⁵- إشارة للحديث المروي عن الصحابي الجليل سفيان بن عبد الله الثقفي قال: يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل ربي الله ثم استقم، قال يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علي؟ قال هذا وأشار إلى لسانه. إهـ... أنظره في صحيح ابن حبان (باب ما يكره من الكلام و ما لا يكره) ذكر تخوف المصطفى على أمته قلة حفظهم ألسنتهم 5: 359 رقم 5601 مجمع الزوائد للهيتمي (كتاب الزهد) باب ما جاء في الصمت و حفظ اللسان 10: 536 رقم 18158، رقم 18158، رقم 18167.

⁶- إشارة لحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ونصه: قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه و نحن نسير، فقلت: يا نبي الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال: "لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير من يسره الله عليه، تعبد الله و لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة و الصدق تطفئ الخطيئة، و صلاة الرجل في جوف الليل. ثم قرأ قوله تعالى {تتجافى جنوبهم عن المضاجع} حتى بلغ {يعملون}، ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروه سنامه؟ فقلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد. ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ فقلت له: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه فقال: كف عليك هذا. فقلت: يا رسول الله، إنا لمؤاخذون بما نتكلم به، فقال: تكلتك أمك يا معاذ و هل يكب الناس على وجوههم في النار أو قال: على مناخرهم، إلا حصاد ألسنتهم"

انظر مسند الإمام أحمد (حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه) 6: 305 رقم 21639، سنن الترمذي سنن الترمذي (كتاب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) باب ما جاء في حرمة الصلاة 4: 348 رقم 2683، سنن ابن ماجة (كتاب الفتن) باب كف اللسان في الفتنة 2: 1314 رقم 4059، سنن النسائي الكبرى (كتاب التفسير) قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع 6: 428 رقم 11289.

⁷- إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم: يا عقبة بن عامر، أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابتك على خطيئتك، إهـ... أنظره في الترغيب والترهيب، للحافظ المنذري (كتاب الأدب و غيره) الترغيب في العزلة لمن لا يأمن على نفسه عند الإختلاط 3: 279 رقم 4146، الترغيب في الصمت إلا عن خير و الترهب من كثرة الكلام 3: 336 رقم 4323 (كتاب التوبة و الزهد) الترغيب في البكاء من خشية الله تعالى 4: 166 رقم 5041، رياض الصالحين، للنووي (كتاب الأمور المنهي عنها) 1: 276 رقم 1520، الأذكار، للنووي (كتاب حفظ اللسان) فضل حفظ اللسان عن الكلام إلا بخير 1: 333 رقم 1023

ذلك من الأحاديث الشريفة والآثار، وفي حديث أبي ذر مرفوعاً: بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان و عون لك على أمر دينك¹، أخرجه أحمد و الطبراني و ابن حبان و الحاكم و صححاه. ويعجبي كلاماً رأيته للمحقق الشوكاني في المجلد الثاني من كتابه البدر الطالع في ترجمة القاسم بن أحمد و قد جرى له ذكر الحاتمي و ابن الفارض والجيلي ما نصه ومنه قلت: وفي ذنوبنا التي أثقلت ظهورنا لقلوبنا أعظم شغلة، و طوبى لمن شغلته عيوبه، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، فالراحلة التي قد حملت ما لا تكاد تنوء به إذا وضع عليها زيادة عليها انقطع ظهرها، وقعدت على الطريق قبل وصول المتزل، وبلا شك أن الطعن في ثلب أعراض المشكوك في إسلامهم فضلاً عن المقطوع بإسلامهم جرأة غير محمودة، فرمما كذب الظن و بطل الحديث، و تقشعت سحائب الشكوك، وتجلت ظلمات الظنون، وطلعت الدقائق وحتت الحقائق، وإن يوماً يفر المرء من أبيه و يشح بما معه من الحسنات ولا يدعها يوم القيامة نهبا بين قوم قد صاروا تحت أطباق الثرى بل أن يخرج إلى هذا العلم بدهور، وهو غير محمود علة ذلك و لا مأجور. فذا ما لا يفعله بنفسه العاقل، و أشد من ذلك أن ينثر حزاب طاعاته، وينشل كنانة حسناته على أعدائه غير مشكور بل مقهور، وهكذا يفعل عند الحضور للحساب بين يدي الجبار، وبالغتائبين والنمامين والهمازين واللمازين، فإنه قد علم بالضرورة الدينية أن مظلمة العرض كمظلمة المال والدم، ومجرد التفاوت في مقدار المظلمة لا يوجب عند إنصاف ذلك الشيء المتفاوت أو بعضه بكونه مظلمة، فكل واحدة من هذه الثلاث مظلمة لآدمي، وكل مظلمة لآدمي لا تسقط إلا بعفوه، وما لم يعفو عنه فإنه باق على فاعله أبداً في عصور القيامة، فقل لي كيف يرجو من ظلم ميتاً بثلب عرضه أن يعفو عنه، ومن ذلك الذي يعفو في هذا الموقف وهو أحوج ما كان إلى ما يقيه من النار.

وإذا التبس عليك فانظر ما تجده من الطباع البشرية في هذه الدار، فإنه لو ألقى الواحد من هذا النوع الإنساني إلى نار من نيران الدنيا، وأمكنه أ، يتقيها بأبيه وبأمه أو بابنه أو بحبيبه لفعل، فكيف بنار الآخرة التي ليست نار هذه الدنيا بالنسبة إليها شيئاً، و من هذه الحيثية قال بعض من نظر عين الحقيقة: لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت أبي وأمي لأتهما أحق بحسناتي التي تؤخذ مني قهراً، وما

¹ إشارة لحديث أبي ذر رضي الله عنه ونصه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس الأمر كله، وعليك بتلاوة القرآن وذكر الله تعالى في السماء، ونور لك في الأرض، عليك بطول الصمت إلا في خير، فإنه مطردة للشيطان عنك، إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه، عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي، أحب المساكين وجالسهم، أنظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك فإنه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عندك، صل قرابتك وإن قطعوك، قل الحق وإن كان مرأ، لا تخف في الله لومة لائم، ليحجزك عن الناس ما يجهل من نفسك، ولا تجد عليهم فيما تأتي، وكفى بالمرء عيباً أن أن يكون فيه ثلاث خصال: أ، يعرف من الناس ما يجهل من نفسه، ويستحي لهم مما هو فيه، ويؤذي جلسيه، يا أبا ذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق إهـ

أنظره في جامع الأحاديث و المراسيل (حرف الهزة مع الواو) 3: 292 رقم 8716، رقم 8819، الترغيب و الترهيب (كتاب الأدب وغيره) الترغيب في الصمت إلا عن خير 3: 340 رقم 4345، الترغيب في الخلق الحسن 3: 274 رقم 4022.

أحسن هذا الكلام، و لا ريب أن أشد أنواع الغيبة وأضرها وأشرها وأكثرها بلاء و عقابا ما بلغ إلى حد التكفير و اللعن، فإنه قد صح أن التكفير واللعن، فإنه قد صح أن تكفي المومن كفر، ولعنه راجع إلى فاعله، و سبابه فسوق، وهذه عقوبة من جهة الله سبحانه،

أما من موقع له التكفير و العن و السب فمظلمة باقية على ظهر المكفر و اللاعن والساب، فانظر كيف صار المكفر كافرا، واللاعن ملعونا، و الساب فاسقا، و لم يكن ذلك حد عقوبته، بل غريمه ينتظر بعرضات المحشر ليأخذ من حسناته أو يضع عليه من سيئاته بمقدار تلك، ومع ذلك فلا بد من شيء غير ذلك و هو العقوبة على مخالفة النهي، لأن الله قد نهي في كتابه و على لسان رسوله عن الغيبة أقسامها، ومخالف النهي فاعل المحرم معاقب عليه، وهذا عارض من القول جرى به القلم ثم أحجم عن الكلام، سائلا من الله حسن الختام والحاصل أن التسليم لأهل الله أسلم، وفي ذلك قلت:

سلم الأمر تفز	لست أهلا للكلام
والزم الصمت فمن	لزم الصمت سلم

هذا ما يتعلق بالمقدمة على جهة الاختصار و العلم عند الله سبحانه

الباب الأول في ذكر بعض ما ورد في الاجتماع لذكر الله تعالى و الترغيب فيه

اعلم أن الاجتماع لذكر الله تعالى جرت به عادة ساداتنا الصوفية قديما و حديثا شرقا و غربا وفي العمليات:

و الذكر مع قراءة الأحزاب	جماعة شاع مدى الأحقاب
--------------------------	-----------------------

وقال سيدي الحاج ابن إبراهيم العلوي الشنقيطي:

و الجمع للذكر وللقرآن	جرى به العمل في البلدان
-----------------------	-------------------------

وقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب فيه، منها ما أخرجه البخاري و مسلم و الترمذي و النسائي و ابن ماجه و غيرهم مرفوعا: يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته خير منه¹، ومنها رواه الطبراني بإسناد حسن

¹ - صحيح البخاري (كتاب التوحيد) باب قول الله تعالى ويحذركم الله تعالى نفسه رقم 7405، صحيح مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة) باب الحث على ذكر الله تعالى رقم 6756، مسند الإمام أحمد (مسند أبي هريرة) 3: 137 رقم 9240، سنن الترمذي (أحاديث شتى) باب الظن بالله تعالى 10: 51 رقم 3745، سنن النسائي الكبرى (كتاب النعوت) قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك 4: 412 رقم 7724.

مرفوع قال: قال الله جل ذكره: لا يذكرني العبد في نفسه إلا ذكرته في ملاء من الملائكة، ولا يذكرني في ملاء إلا ذكرته في الرفيق الأعلى¹، ومنها ما رواه البيهقي من حديث عبد الله بن مغفل ورواه الطبراني عن سهل بن حنظلة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله فيقومون حتى يقال لهم قوموا قد غفر الله لكم وبدلت سيئاتكم حسنات².

ومنها ما روي عن عبد الله بن يسر أن رجلا قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبت به قال لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله³، أخرجه الترمذي وابن ماجه و صححه ابن حبان و الحاكم، ومنها ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قلت يا رسول الله مت غنيمة مجالس الذكر؟ قال: غنيمة مجالس الذكر الجنة ((أنظر مسند الإمام أحمد) مسند عبد الله بن عمرو بن العاص) 2:391 رقم 6785 رقم 6633، مجمع الزوائد (كتاب الأذكار) باب ما جاء في مجالس الذكر 10:78 رقم 16773، مسند الشاميين 2:273 رقم 1335، الترغيب والترهيب (كتاب الذكر و الدعاء) الترغيب في حضور مجالس الذكر 10:76 رقم 16768، المستدرک، للحاكم (كتاب الدعاء التكبیر) 1:671 رقم 1856، مسند أبي يعلى (من مسند أبي سعيد الخدري) 3:390 رقم 1856. و4:106 رقم 2139، منتخب عبد بن حميد 1:261 رقم 2325، جامع الأحاديث و المراسيل (حرف الهمزة) 3:134 رقم 7740))، رواه أحمد بإسناد حسن، ومنها ما رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى و البزار والطبراني و الحاكم : صحيح الإسناد عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض فارتعوا في رياض الجنة، قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، فاغدوا وروحوا في ذكر الله، واذكروه أنفسكم الحديث ((أنظر مجمع الزوائد للهيثمي (كتاب الأذكار) باب ما جاء في مجالس الذكر 10:76 رقم 16768، المستدرک، للحاكم (كتاب الدعاء و التكبیر) 1:671 رقم 1856، مسند أبي يعلى (من مسند أبي سعيد الخدري) 3:390 رقم 1856، و4:106 رقم 2139، منتخب عبد الرحمن بن حميد 1:333 رقم 1107، الترغيب و الترهيب، للمنذري

¹ - أنظره في مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب الأذكار) باب في حسن الله تعالى 10:79 رقم 16775، فيض القدير شرح الجامع الصغير (حرف القاف) 4:494 رقم 6059، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف القاف) 2:288 رقم 8361، كنز العمال (المجلد الأول) 1:135 رقم 1796، رقم 1867.

² - أنظر مجمع الزوائد للهيثمي (كتاب الأذكار) باب ما جاء في مجالس الذكر 10:76 رقم 16767، جامع الأحاديث و المراسيل (حرف الميم) 6:254 رقم 18560، فيض القدير شرح الجامع الصغير (حرف الميم) 3:90 رقم 10601، كنز العمال (المجلد الأول) 1:135 رقم 1808.

³ - أنظر مسند الإمام أحمد (حديث عبد الله بن يسر المازني) 5:209 رقم 17368.

(كتاب الذكر و الدعاء) الترغيب في حضور مجالس الذكر 2: 261 رقم 2325، جامع الأحاديث و المراسيل (حرف الهمزة) 3: 134 رقم 7740)، وفسر أرباب الحديث الرتع بأنه الأكل والسرب في خصب وسعة

و منها ما رواه الطبراني بإسناد مقارب لا بأس به عن عمر بن عبسة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: عن يمين الرحمان و كلتا يديه يمين رجال ليسوا بالأنبياء ولا شهداء، يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين، يغطهم النبيئون و الشهداء بمقعدهم وقرهم من الله عز وجل، قيل يا رسول الله من هم؟ قال: هم جماع من نوازع القبائل، يجتمعون على ذكر الله فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى من التمر أطايبه. ((أنظر مجمع الزوائد، للهيتمي (كتاب الأذكار) باب ما جاء في مجالس الذكر 10: 78 رقم 16771، جامع الأحاديث و المراسيل (حرف العين مع النون) 5: 215 رقم 14429، الترغيب و الترهيب (كتاب الذكر الدعاء) الترغيب في حضور مجالس الذكر 2: 261 رقم 2326، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف العين) 2: 245 رقم 7898، فيض القدير شرح الجامع الصغير (حرف العين) رقم 5625.))

وجماع بضم الجيم وتشديد الميم، أي أناس من قبائل شتى، ومواضع مختلفة، ونوازع جمع نازع وهو الغريب، ومعناه أنهم لم يجتمعوا لقرابة ولا لنسب و لا لمعرفة، وإنما اجتمعوا لذكر الله تعالى. ومنها ما أخرجه الإمام أحمد أبو يعلى و البزار و الطبراني، و رواه ثقات عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات ((انظر مجمع الزوائد (كتاب الأذكار) باب ما جاء في مجالس الذكر 10: 75 رقم 16764، جامع الأحاديث و المراسيل (حرف الميم) 6: 393 رقم 19509، مسند أبي يعلى (حميد الطويل عن أنس بن مالك) 7: 167 رقم 4144.))، إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار الواردة في الترغيب فيه، وقال بعض الخذاق

وأنكروا الجهر و الاجتماع	للذكر وهو جائز إجماعا
جرى على ذلك مذ أعصار	شرقا وغربا الأمصار
فوقع الإجماع بعد الخلف	فيه فجاز اليوم دون خلف

فتحصل أن الذكر جماعة جائز لا شيء فيه، بل مرغب فيه خلافا لمن أنكره جهلا أو عنادا، على أنه لو سلم أنه مختلف فيه لسلم، فقد نقل الشيخ علي الأجهوري عن المواق أن ما اختلف في ندب فعله و كراهته فإن فعله أفضل، ومثله ما اختلف في سنيته و كراهته، ولا يكون أحط رتبة من المباح، بل قد نصوا على أن ما اختلف في مشروعيته أرفع درجة من المباح، وقال عز الدين ابن السلام ((عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسليمان العلماء، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، ولد في دمشق عام 577 هـ ونشأ بها وتوفي بالقاهرة عام 600 هـ من كتبه: التفسير الكبير، والإمام في أدلة الأحكام، وقواعد الأحكام و بداية السؤل في تفضيل الرسول والفتاوي والغاية في اختصار النهاية وغيرها، أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي 4: 21 وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي 1: 287 وفي الطبقات الشافعية للسبكي 5: 80- 107 وفي البداية والنهاية لابن كثير 13: 235-236 وفي الوفيات للصفدي 18: 318-319))، إن كان الخلاف في المشروعية فالفعل أفضل، لأن الشرع يحتاط لفعل المندوبات كما يحتاط لفعل الواجبات، وقال لأن القائل بالمشروعية مثبت لأمر لم يطلع عليه النافي والمثبت مقدم إهـ... كلام الأجهوري ونقله في الجيش الكفيل.

فإن قلت يخذش فيما تقدم ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه لقوم وحدهم يذكرون الله جماعة: لقد جئتم ببدعة ظلما، أو لقد فقتم أصحاب محمد علما ((أنظر مصنف الصنعاني (كتاب الجمعة) 3: 219 رقم 5402))، فالجواب ما ذكره أبو العباس زروق أنه لم يبلغه حديث الترغيب في الاجتماع، وإلا يصح إنكاره بهذا الوجه بعد صحة الحديث، قلت ولعل ابن مسعود رضي الله عنه وجدهم يفعلون أمرا خارجا عن قواعد الشريعة فذلك أنكر عليهم والله أعلم.

وبعد أن كتبت هذا وجدت بعض العلماء نفى عن ابن مسعود هذا، قال في كتاب الزهد لأحمد نقلا عن شفيق بن وائل قال: هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله يعني ابن مسعود كان ينهي عن الذكر ما جالسته مجلسا إلا ذكر الله فيه إهـ وفي روح البيان أن هذا القول الذي قيل عن ابن مسعود أجاب عنه صاحب الرسالة التحقيقية في طريق الصوفية للشيخ سنبل الخلوقي قدس الله سره بأنه كذب وافتراء على ابن مسعود، لمخالفته للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأفعال الملائكة، قال الله تعالى: ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ((سورة البقرة الآية 114)). ولو سلمنا صحة وقوعه فهو لا يعارض الأدلة المذكورة لأنه أثر، والأثر لا يعارض الحديث، وبطلان الأدلة يدل على بطلان

المدلولات، وفي الحديث: علامة حب الله حب ذكر الله ((إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم: علامة حب ذكر الله، وعلامة بغض الله بغض ذكر الله عز وجل إهـ... أنظر شرح الجامع الصغير(حرف العين) رقم 5450، كتر العمال (المجلد الأول) 1: 135))، وليس المقصود الاجتماع الذي ينظم إليه المزاح و الضحك فإن ذلك يورث الخشية و التدبر و الرجوع إلى الحق جلا و علا، هذا حاصل ما أردنا في هذا الباب، والله يلهمنا الحكمة و العمل بها و فصل الخطاب،

الباب الثاني في مستندنا معشر التجانيين في الذكر جماعة جهرا

اعلم أن هذا يؤخذ مما تقدم في الباب قبل من الأحاديث بديهية، إذ لا معنى للإجماع إلا أن يذكروا جماعة جهرا على لسان واحد، قال الشيخ زروق: إن كان الذكر سرا فجدواه أي الاجتماع غير ظاهر، وإن كان جهرا وكل واحد يذكر الله على حدته فلا يخفى ما فيه من إساءة الأدب بالتخليط وغيره مما لا يسوغ في حديث الناس فضلا عن ذكر الله تعالى، فلزم جوازه بل ندبه بشرطه، نعم وتأويل التسييح و التحميد و التمجيد بالتذاكر في التوحيد من أبعد البعيد، فتأويله غير مقبول لبعده عن الأفكار، إذ لا يخطر إلا بالإخطار، وذلك من مقاصد الشرع بعيد جدا فافهم.

وإياك أن تفهم كما فهم بعض الجهلة، وخالف الإمام الذي اشتهر علمه وولايته ومعرفته بالله تعالى وعموم النفع به ومؤلفاته، تاج الدين ابن عطاء الله، واستدل بقوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ((سورة الإسراء الآية 110))، على منع الجهر بالذكر، معأن القول تعالى وابتغ ذلك سبيلا((سورة الإسراء 110))، يرد فهمه السقيم، وفكره العقيم، إذ لا سبيل ينتقى بين الجهر والمخافتة إلا الجهر برفق، لئلا يتعطل جهر الجاهر بغير رفق فيحصل له أمراض تعوقه عن الذكر وغيره.

هذا و تم أحاديث أخر تدل على أن الجهر بالذكر لا شيء فيه، بعضها بالصراحة و بعضها باللزوم، منها ما رواه الحاكم عن شداد بن أوس قال: إنا لعند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: ارفعوا أيديكم فقولوا لا إله إلا الله، ففعلنا، فقال اللهم إنك بعثني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة إنك لا تخف الميعاد، ثم قال: ابشروا فإن الله قد غفر لكم((أنظر المستدرک للحاكم (كتاب الدعاء والتكبير) رفع الأيدي عند قول لا إله إلا الله وأمر غلق الباب 1: 679 رقم 1880. فيض القدير شرح الجامع الصغير (حرف الهمزة) رقم 904، مسند الإمام أحمد

(حديث شداد بن أوس رضي الله عنه) 5: 105 رقم 19765، مجمع الزوائد (كتاب الإيمان) باب فيمن شهد أن لا إله إلا الله: 1: 164 رقم 23 (كتاب الأذكار) باب ما جاء في فضل لا إله إلا الله 10: 87 رقم 16798، مسند الشاميين 2: 157 رقم 1113، الترغيب والترهيب (كتاب الذكر و الدعاء) الترغيب في قول لا إله إلا الله 2: 2351)). وأخرج البيهقي عن أبي الأدرع قال: انطلقنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة، فمر بنا رجل في المسجد يرفع صوته بالذكر، قلت يا رسول الله عسى أن يكون هذا مرأياً، قال: لا لكنه أواه ((أنظر فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي (حرف الهمزة) رقم 904))، وأخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ((أنظر صحيح البخاري (كتاب الآذان) باب بعد الصلاة رقم 841، صحيح مسلم (كتاب المساجد و مواضع الصلاة) باب الذكر بعد الصلاة رقم 1270، مسند الإمام أحمد (مسند عبد الله بن عباس) 1: 606 رقم 3476، سنن أبي داود (كتاب الركوع و السجود) باب التكبير بعد الصلاة 3: 304 رقم 1003)). قال ابن عباس: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك، يعني يعلم انصرفهم من الصلاة و خروجهم من المسجد إذا سمعهم يرفعون أصواتهم بالذكر.

فائدة ينبغي للذاكر إذا كان وحده مبتدئاً أن يجهر بالذكر، لأن في ذلك منفعة له، وهي طرد الوسوس الشيطانية والخواطر النفسانية، وإذا كان متوسطاً فالأولى والأفضل في حقه الإخفاء، لأن فيه من التأثير في الباطن، و حضور القلب، و حصول التوجه، و حصول المراقبة المطلوبة من المتوسط، وإذا كان من أهل النهاية فالكل على حد السوى، لأنه مستغرق في مذكوره، فقد استوت عنده حينئذ الحالات، فاعلم ذلك، وهذا ما لم يكن الإنسان في الجماعة، لأجل توافق الأصوات بطريقة واحدة.

هذا الذكر مع الجماعة أولى وأفضل من ذكر الإنسان وحده، ولقد مثل الإمام الغزالي رضي الله عنه للذاكر مع الجماعة فقال: مثل ذكر الواحد وحده و ذكر الجماعة كمؤذن واحد ومؤذنين جماعة، فكما أن صوت المؤذنين جماعة يقطع جرم الهوى أكثر مما يقطعه جرم واحد كذلك ذكر الجماعة أكثر تأثير، وأشد قوة في رفع الحجب عن القلب من ذكر الله واحد وحده، أيضاً يحصل لكل واحد ثواب نفسه و ثواب سماع الذكر من غيره، وشبه الله تعالى القلوب القاسية بالحجارة أو

أشد قسوة((سورة البقرة الآية 74))، والحجارة لا تنكسر إلا بقوة، فكذلك قساوة القلب لا تزول إلا بذكر القوي.

وفي شهية السماع: ومنه أي من أنواع الأدب التي تجمع للمتصف بها الخير الفرار من الأسرار بالذكر، وفي شرحه كشف القناع قال: وذلك لأن الذكر مع الإسرار لا يؤثر في قلب السالك و لا كذلك الجهر، ثم قال ومن كلام بعضهم: إذا ذكر المرید ربه بشدة وعزم مع الجهر طويت له مقامات الطريق بسرعة من غير إبطاء، فرما قطع في سرعة مالا يقطعه غيره في شهر أو أكثر، لكن ينبغي أن يكون الجهر برفق، فإنه إذا كان بغير رفق ربما يتأذى صاحبه فيعطل جهره بالكلية إهـ.. إذا علمت هذا علمت الرد على من استدل بقوله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه: اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا((أنظر صحيح البخاري (كتاب الجهاد والسير) باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير رقم 2992 (كتاب المغازي) باب غزوة خيبر رقم 4202 (كتاب الدعوات) باب الدعاء إذا علا عقبه رقم 6384 (كتاب القدر) باب لا حول ولا قوة إلا بالله رقم 6610 (كتاب التوحيد) باب و كان الله سميعا بصيرا رقم 7386 صحيح مسلم (كتاب الذكر الدعاء) باب استحباب خفض الصوت رقم 6812.))، بأن السر أولى في ذلك، ووجه الرد أنه عليه السلام لو أراد أسروا لقال اخفضوا أصواتكم، أو أسروا ذكركم ولا تجهروا به، ولكنه صلى الله عليه وسلم ردهم إلى الرفق على أنفسهم بالجهر الذي لا يلحقهم معه ضرر يتأذون به، لأنه صلى الله عليه وسلم سيد الأطباء، وأعقل العقلاء، الحاصل أن الجهر بالذكر للجماعة هو المطلوب المعول عليه، قال سيدي إبراهيم العلوي الشنحيطي

و الجهر نديه هو المعول	من غير مانع كندب يحصل
------------------------	-----------------------

والله سبحانه و تعالى أعلم

الباب الثالث في الجواب عما ورد في الذكر بالسر وتأويله إلى ما ورد في الذكر بالجهر للجماعة والجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك،

أعلم أن الإمام السيوطي رضي الله عنه سئل عما اعتاده الصوفية من حلق الذكر و الجهر به في المساجد ورفع الصوت بالتهليل هل ذلك مكروه أو لا؟ فأجاب أنه لا كراهة في شيء من ذلك،

وقد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر، و أحاديث تقتضي استحباب الإسرار بذلك والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، كما جمع بذلك النووي بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار بها، قال أي السيوطي بعد أن ذكر ما أوردناه مكن الأحاديث: فقد عرفت من مجموعها أنه لا كراهة البتة فالجهر بالذكر، وأما المعارضة بحديث خير الذكر ما خفي ((أنظر تحريجه في ص 32)) فهو نظير معارضة حديث المعارضة بالجهر بالقرآن بحديث: المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة ((إشارة لقوله صلى الله عليه و سلم: الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة. إهـ.. أنظر مسند الإمام أحمد (حديث عقبه بن عامر الجهيني) 5: 148 رقم 17041، رقم 17114، سنن الترمذي (كتاب فضائل القراء) باب الجاهر بالقراء كالجاهر بالصدقة 8: 199 رقم 2998، سنن أبي داود (كتاب قيام الليل) باب فيرفع الصوت بالقراءة 4: 1333، سنن النسائي الصغرى (كتاب الزكاة) باب المسر بالصدقة 5: 84 2562، المستدرک، للحاكم النيسابوري فضيلة قراءة القراء 1: 741 رقم 2075، مسند أبي يعلى (مسند أبي سعيد الخدري) 3: 278 رقم 1727.))، وقد جمع الإمام النووي بينهما بأن الإخفاء أفضل حيث خيف الرياء، أو تأذي مصلين أو نياما، والجهر أفضل في غير ذلك، لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين، ويوقظ قلب القاري، ويجمع النشاط همته إلى الحضور، ويصرف سمعته إليه، ويطرد النوم ويزيد في النشاط.

قال: وقال بعضهم يستحب الجهر ببعض القرآن و الإسرار ببعضه، لأن المسر قد يمل فيأنس بالجهر، و الجاهر قد يكل فيستريح بالإسرار، قال: وكذلك تقول في الذاكر على هذا التفصيل، وبه الجمع بين الأحاديث، قال: فإن قلت قد قال الله تعالى: واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ((سورة الأعراف الآية 205))، وقال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخيفة إنه لا يجب المعتدين ((سورة الأعراف الآية 55))، وقد فسر الاعتداء بالجهر في الدعاء، فالجواب عن الأولى أن الأمر خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم الكامل المكمل، وأما غيره ممن هو محل الوسواس والخواطر الردية فمأمور بالجهر، لأنه أشد تأثيرا في دفعها، والجواب عن الثانية من وجهتين، أحدهما أن الراجح في تفسير الاعتداء أن يجاوز المأمور به، ويخترع دعوة لا أصل لها في الشرع، كما هو موجود في زماننا هذا من يفعل ذلك ويأمر به، حتى يؤدي ذلك بهم إلى ما لا يقول بحليته مسلم، الثاني على تقدير التسليم، فالآية في الدعاء لا في الذكر، و الدعاء بخصوصه

الأفضل فيه الإسرار، لأنه أقرب إلى الإجابة، ومن تم استحباب الإسرار بالاستعاذة في الصلاة اتفقا
إه... بزيادة كثيرة ونقصان.

وقال الشيخ يوسف العجمي ((يوسف العجمي الكوراني، هو أول من أحيا طريقة الشيخ الجنيد
رضي الله عنه بمصر بعد اندراسها، توفي في زوايته بالقرافة الصغرى في يوم الأحد منتصف جمادى
الأولى عام 768هـ، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني 2: 65-66 رقم 316)) في
رسالته في فضل آداب الذكر: قد اعترض بعض الفضلاء على الذّاكر بالجهر مستدلا بقوله تعالى:
واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ((سورة الأعراف الآية 205))، وقوله صلى الله عليه وسلم
خير الذكر ما خفي ((إشارة للحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسند عن سعد بن مالك قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي، إه... أنظر مسند
الإمام أحمد (مسند أبي اسحاق سعد بن أبي وقاص) 1: 280 رقم 1489، رقم 1571، رقم
1635، صحيح ابن حبان (باب الأذكار) ذكر البيان بأن ذكر العبد ربه جل وعلا بينه وبين
نفسه أفضل من ذكره بحيث يسمع صوته، 2: 68 رقم 786، مصنف ابن أبي شيبة (كتاب
الدعاء) 7: 108 رقم 25399. مجمع الزوائد (كتاب الأذكار) باب ما جاء في الذكر الخفي
10: 85 رقم 16795، مسند الشهاب القضاعي 2: 217 رقم 1218. منتخب عبد بن
حميد 1: 76 رقم 137.))، والجواب أن الله تعالى خاطب عامة عباده بمثل أفلا ينظرون إلى
الإبل كيف خلقت ((سورة الغاشية الآية 17))، وخاطب الخاصة بمثل أفلا يتدبرون
القرآن ((سورة النساء الآية 82))، وخاطب سيد أهل الحضرة محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن
عرف نفسه وربّه وأراه كيف مد الظل. بمثل قوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ((سورة
الأعراف الآية 205))، وقوله تعالى ألم ترا إلى ربك كيف مد الظل ((سورة الفرقان الآية 45))،
فمن لم يعرف ربه ولا نفسه ولا أراه كيف مد الظل كيف يذكر ربه في نفسه، أو كيف يرى مد
الظل، بل هم المخاطبون بمثل قوله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا ((سورة الأحزاب الآية 41))،
وأما الذكر الخفي فهو ما خفي الحفظة، لا ما يخفض به الصوت، وهو أيضا خاص به صلى الله
عليه وسلم ومن له به إسوة، فالذاكرون إذا كانوا مجتمعين فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر
والقوة، وأما إذا كان الذّاكر وحده فإن من خواص فالإخفاء في حقه أولى، وإن كان من العوام
فالجهر في حقه أولى إه...))

وقال في الخلاصة المرضية قال شيخ الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء: وعمل الجهر يزيد على عمل السر ضعفه إذا قصد به الإقتداء. قال ابن حجر: وقول من قال أن رفع الصوت بالذكر بدعة لم يصب، لأنه ثبت في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رفع الصوت بالذكر كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينصرف الناس من المكتوبة ((سبق تخريجه في ص 28))، ثم قال وأما من قال هؤلاء كلاب يعوون فقد أخطأ شنيعاً، وقال قولاً يكاد قائله أن يقع في الكفر من جهة تشبيه أصوات الذاكرين بما ذكر، ويستحق على إطلاق ذلك التعزيز البليغ اللائق بمثله، وأما من قال إن الذكر جهراً ليس له أصل فلم يصب أيضاً، بل له أصل أصيل كما تقدم تقريره، وكما ستأتي أدلته.

وقد تقدمت لنا نحن فلا نطيل بإعادتها، وقد كتب على هذا الجواب بعض علماء المذاهب الأربعة كما في سيف القاطع، فقد كتب من المالكية قاضي القضاة شيخ الإسلام شرف الدين المالكي، ومن الشافعية قاضي القضاة شيخ الإسلام كمال الدين القادري الشافعي، ومن الحنفية قاضي القضاة شيخ الإسلام نور الدين الطرابلسي الحنفي، ومن الحنابلة قاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين الفتوحي الحنبلي رضي الله عنهم، وكلهم سلموا جواب ابن حجر وبالغوا في مدحه، وانظر نص كتابة كل في سيف القاطع، فلا يطيل بذكرها في هذه النبذة، والحاصل أن الذكر جماعة على لسان واحد لا شيء فيه بل مطلوب، وبه تعلم الرد على بعض المتعصبين بالباطل في اعتراضه على سادتنا بدور الإسلام التجانيين، وإن ذلك إنما هو من جهله قصوره، وأتروح وأقول متمثلاً:

إذا محاسني التي أصول بها	كانت ذنوباً فقل ليكيف أعتذر(())
--------------------------	----------------------------------

((البيت من قصيدة للشاعر البحري قال في مطلعها

في الشيب زجر له لو كان يترجر	وواعظ منه لولا أنه حجر
أبيض ما أسود من فوديه وارتجعت	جليه الصبح ما قد أغفل السحر

((

ثم أقول:

ورب جهول عابني بمحاسن	ويقبح ضوء الشمس في الأعين الرمدم
-----------------------	----------------------------------

وقد علم أ، القصد إنما هو الانتقاد بلا دليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.
وقال آخر:

عند العذول اعتراضات ومعنفة	وفي القباب جوابات وأعدار((
----------------------------	----------------------------

((البيت للشاعر صرد بن صريع، أحد شعراء العصر العباسي، من قصيدة له قال في مطلعها:

لا أعذر المرء يصبو وهو مختار	الحب يجمع فيه العار و النار
فعاره سفه العذال إن جهروا	وناره حرق عن شطت الدار

((

وقال آخر أيضا:

ما ضربي حسد اللثام ولم يزل	ذو الفضل يحسده ذوو التقصير((
----------------------------	------------------------------

((البيت للشاعر مروان بن أبي حفصة، أحد شعراء العصر العباسي، من قصيدة له قال في مطلعها:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما	حلو القصيد ومره لجرير
ولقد هجا فأمض أخطل تغلب	وحوى اللهى بيانه الشهرور

((

وقال آخر أيضا:

لو كل كلب عوى ألقمته حجرا	لأصبح الصخر مثقالا بدينار((
---------------------------	-----------------------------

((البيت للشاعر علي الغراب الصفاقسي، وله بيت آخر قبله، ونصهما معا:

ما بقبق الكوز إلا من تألمه	يشكو إلى الماء ما قسى من النار
لو كل كلب عوى ألقمته حجرا	لأصبح الصخر مثقالا بدينار

((

وتقدم قول ابن حجر: احذروا من الإنكار، فإنه يوقع المنكر في العثار. والمتعنت مذموم، والحق أحق أن يتبع، والباطل عن هؤلاء الأئمة قد اندفع، فاحذر أيها المنكر من الاعتراض، فإنه من أشد الأمراض، وفي هذا القدر كفاية ومن لم يجعل الله نورا فما من نور له. الآية((سورة النور الآية

((40

الباب الرابع في الكيفية التي إخواننا يوم الجمعة وما مستندهم في

ذلك وما يتعلق بها، اعلم أن جواز ذلك معلوم عند كل ذي طبع سليم، قال العارف الكبير ملانا العربي بن السائح ((سبق التعريف به في ص 16)) رضي الله عنه في بغية المستفيد ما نصه: اعلم أن الذكر على الكيفية المذكورة قد تواصل عليه عمل المشايخ الكبار، في سائر المدن والأمصار، ووقع الإجماع عليه بعد الاختلاف الكثير، فجاز اليوم عند من يعتد به من علماء الأمصار من غير خلف ولا نكير، وقد ألف في جواره غير واحد من العلماء الأعلام، منهم عالم عصره وحافظ قطره الشيخ الإمام سيدي أبو العباس أحمد بن الشيخ الكبير والقطب الشهير سيدي أبي المحاسن الفاسي ((أبو العباس أحمد بن أبي المحاسن يوسف الفاسي، فقيه صوفي فاضل، من مصنفاته شرحه على رائية الشريشي، وحاشية على صغرى السنوسي، ولد عام 971هـ، وتوفي في شهر ربيع الأول عام 1021هـ، أنظر ترجمته فب شجرة النور الزكية لمخلوف ص 296 رقم الترجمة 1147.)) شارح رائية الشريشي رحم الله جميعهم ورضي الله عنهم، وقد أفاد في تأليفه ذلك وأجاد، وفصل القول فيه تفصيلا شافيا، أفصح فيه عن الحقيقة وبين المراد، وكذلك ألف فيه أيضا بعده بعض السادات الفاسيين تأليفا حسنا سلك فيه تحرير الأدلة، وبيان وجوهها شريعة وطريقة، مسلكا واضحا مستحسنا، وقد من الله تعالى علي بمطالعتهما معا، ورأيت على ظاهر الثاني وهو بخط مؤلفه عدة خطوط لعلماء الوقت، كلهم أجازوا وأقروه وقالوا بمضمونه، ومن جملة ما رأيت إجازته لهم بخط يد الخاتمة المحققين، وراية العلماء المتفنين سيدي محمد شيخ الإسلام أبي محمد عبد الله القادر الفاسي ((عبد القادر بن علي بن يوسف الفهري الفاسي، فقيه، محدث، أديب، صوفي، ولد بدينة القصر الكبير عام 1007هـ، وبها نشأ، ثم رحل إلى فاس لطلب العلم، فاستوطنها إلى حين وفاته عام 1091هـ عن 84 سنة، وقد ألف ابنه عبدالرحمن تأليفا في ترجمته سماه، تحفة الأكادبر. بمناقب الشيخ عبد القادر. أنظر ترجمته في الينبوع المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 285 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 314 رقم الترجمة 1226 للزركلي ج 4 ص 41 وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 309 و في معجم المطبوعات لإليان سريكس 1430.))، ما يوافق ما اشتمل عليه المؤلفان المذكوران، فليراجع جميع ذلك من أراد، ليزداد تبصرة إن كان مسلما، أو يتحقق الأمر على ما هو عليه عساه أن يكون سببا لتسليمه

ورجوعه إن كان منكراً أو جاهلاً متعلماً ((أنظر بغية المستفيد للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح ص 363)) إهـ.. كلام البغية.

وأهل هذه الكيفية ومستندهم فيها ما ورد في الحديث أن سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما قال سيد الأرسال ومنع الحكمة والأفضال مولانا سيد محمد صلى الله عليه وسلم: أشبهت خلقي وخلقي ((أنظر صحيح البخاري (كتاب الصلح) باب كيف يكتب: هذا ما صالح فلان بن فلان بن فلان بن فلان وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه رقم 2699 (كتاب المغازي) باب عمرة القضاء رقم 4251 (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) باب مناقب جعفر بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنه وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أشبهت خلقي وخلقي)) فرقص من هذا الخطاب، ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم: قال العلماء: فكان هذا أصلاً في رقص الصوفية لما يدركونه من لذة المواجيد.

قال في البغية: وفي بعض التقايد المنقولة من خط شيخ الإسلام أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي رضي الله عنه ما نصه: وأما الحركة يعني في الذكر على الكيفية المعلومة فقد استأنسوا لها بما روي أنه عليه السلام قال لعلي رضي الله عنه: أنت مني وأنا منك فحجل، وقال لزيد أنت أخونا ومولانا فحجل، وقال لجعفر أشبهت خلقي و خلقي فحجل ((أنظر مسند الامام أحمد (مسند علي بن أبي طالب) 1: 174 رقم 859، سنن البيهقي الكبرى (جماع أبواب النفقة على الأقارب) باب الخالة أحق بالحضانة من العصبة 11: 505 رقم 16072 (جماع أبواب من تجوز شهادته ومن لا تجوز) باب من رخص في الرقص إذا لم يكن فيه تكسر وتخت 15: 333 رقم 21493 جامع الأحاديث والمراسيل (حرف الياء) 18: 253 رقم 8034))، يقال حجل الطائر حجلانا في مشيه كما البعير المربوط على ثلاث إهـ.. كلام سيدي عبد القادر إهـ.. كلام البغية.

وقال جلال الدين السيوطي رضي الله عنه: وقد صح القيام والرقص في مجلس الذكر والاستماع عن جماعة من كبار الأئمة منهم شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام.

تنبيهان، التنبيه الأول: اعلم أن الرقص يطلق على معينين. الأول الذي احتوى على ركض الرجل، وتفعل ما يسقط العمامة ونحوها والتصفيق، وهذا حرام، وأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له حوار، وأصحابه الذين يفعلونه هم من قال فيهم الطرطوشي وغيره: يجب على المتولي أن يمنعهم من ذلك، ومن الحضور في المساجد وغيرها، ولا يجلب لأحد يوم من بالله واليوم

الآخر أن يحضر معهم، أو يعينهم على باطلهم، ثم هذا مالك والشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل وغيرهم، وأنشد المزلي في أهل هذا الوصف.

هذا ابتداء و ضلال في الورى	وليس في التزليل ما يقتضيه
ولا حديث عن نبي الهدى	ولا صحابي ولا تابعيه
بل جاهل يلعب في دينه	قد ضيع العمر بلهو وتيه

إلى أن قال:

أنكر عليهم إن تكن قادرا	فهم رجال إبليس لا شك فيه
ولا تخف في الله من لائم	و ففك الله لما يرتضيه

ونقل في المعيار أن أبا سيدي الرحمن الوغسيلي سئل عن الرقص وما يترتب عليه؟ فأجاب بما نصه: قد نص أهل العلم فيما ذكرت من أحوال الناس من الرقص والتصفيق على أن ذلك بدعة وضلال، وقد أنكر الإمام مالك وتعجب ممن يفعل ذلك لما ذكر له أن أقواما يفعلون ذلك، فقال أصبيان هم أم مجانين، ما سمعنا أحدا من أهل الإسلام يفعل هذا إلخ... بمزيد المذكور.

وذكر في المعيار أيضا جواب سيدي عبد العزيز بن محمد القيرواني تلميذ الشيخ أبي الحسن الصغير، وهو يوافق على الحرمة، منعي من نقله طوله، ونقل أيضا جواب سيدي إبراهيم الشاطبي، وكذا جواب الفقيه الصالح سيدي أبي الله الحفار، وكلهم بالغوا في التشنيع على من فعل ذلك. لكن إن تأملت كلامهم تجده فيما احتوى على ركض الأرض بالرجل، ولهذا كان سيدنا حجة الله أبي العباس التجاني رضي الله عنه لا يقبل رفع الأقدار وركض الأرض بها، ويشدد الزجر لمن صدر منه ذلك، وتابعه على ذلك جماعة من أصحابه، فهو عندنا لا يفعل بل بعضهم لا يعرفه.

الثاني: المعنى الذي يطلق عليه الرقص و هو التمايل يمينا وشمالا، من غير ركض بالرجل ولا تصفيق ولا تفعل يقتضي الخشوع، وهذا جائز لا شيء فيه، و هو مراد الأئمة القائلين بجوازه، ولما نقل صاحب البغية ما يدل على جوازه احتسب وقال ما نصه: والمراد بالركض التمايل يمينا وشمالا، وهو الذي عليه السادة الخلوئية، وفي رسالة ألفها في آداب الذكر الأستاذ الحنفي أحد أركان الطريقة الخلوئية رضي الله عنه، وقد جرى له ذكر القيام في الذكر ما نصه: وينبغي للذاكر أن يكون في غاية الخشوع و الأدب ملاحظا للمذكور كأنه واقف بين يديه، ولا يضره التمايل يمينا وشمالا، إلى أن قال: ولا عبرة بما أنكر به بعض الناس القوم في التمايل، وقال لم يرد في ذلك نص، وإنما ورد

الحث على ذكر الله من غير تمايل، قال لم يرد في ذلك نص، وإنما ورد الحث على ذكر الله من غير تمايل، قال والجواب أن الحافظ أبا نعيم روى عن الفضيل بن عياض أنه قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكروا الله تعالى تمايلوا يمينا وشمالا كما تتمايل الشجر في الريح العاصفة إلى قدام ثم ترجع إلى وراء، ثم قال: فاغتنم يا أخي ذلك، وإن كنت منكرا ولا بد فأنكر على أهل المحرمات بالنص، إهـ... كلام البغية ((أنظر بغية المستفيد، للعلامة الولي الصالح سيدي محمد بن السائح ص366)) إذا علمت ما قدمناه، وتبين لك ما حققناه، فقول بعض المنكرين أن ما يفعله إخواننا التجانيون من الرقص حرام، واستدلالة على ذلك في المعيار، وأن أول من أحدثه أصحاب السامري تتزيل للنصوص في غير محلها.

وشتان ما بين اليزيديين في الندا	يزيد سليم و الأغر بن حاتم(())
((البت للشاعر ربيعة بن ثابت الرقي، أحد شعراء العصر العباسي، من قصيدة له قال في مطلعها:	
بكى أهل مصر بالدموع السواجم	غداة منها الأغر ابن حاتم
حلفت يمينا غير ذي منوبة	يمين امرئ آلى بها غير آتم

((

وذلك لأن الكيفية التي يفعلها إخواننا من قسم الثاني الجائز، والذي في المعيار وغيره من القسم الأول، لأنه الذي أحدثه أصحاب السامري، وهذا وكون الذي يفعله أصحابنا حسنا هو الذي يشهد له كل ذي ذوق سليم، ويمججه كل فكر سقيم، فيقال له حينئذ.

إذا لم تدق ما ذقت الناس في الهوى	فيا الله يا خالي الحشالا تعنعا(())
((البت للعارف بالله بالشيخ أب مدين الغوث، من قصيدة له قال في مطلعها:	
تضيق بنا الدنيا إذا غبتم عنا	وتذهب بالأشواق أرواحنا منا
فكم بعد موت وبقربكم	فإن غبتموا عنا ولو نفسنا متنا
تموت ببعدهم ونحيا بقربكم	وإن جاءنا عنكم بشير اللقا عشنا

((

ثم يقال له:

يا عاذلي خلني و شربي	فلست تدري الشراب ما هو(())
----------------------	-----------------------------

((البيت للشيخ أبي الششتري، من قصيدة له قال في مطلعها:

يا ساقى القوم من شذاه	الكل لما سقيت تاهوا
عاتوا وبالسكر فيك طابوا	وصرحوا بالهوى و فاهوا
ما شرب الكأس واحتساه	إلا محب قد اصطفاه

((

وقول آخر:

وإذا لم تر الهلال فسلم	لأناس رأوه بالأبصار
------------------------	---------------------

ولا أخال هذا المنكر راجعا عن إنكاره حتى يلج في سم الخياط الحمل، وتلتصق الأرض بزحل، ويتوب إبليس من الزلل، ويرجع الماضي بعد المستقبل، جبر الله حالنا وحاله، وعرفنا بأنفسنا بمنه وكرمه آمين.

إيقاظ ما قدمناه قبل في غير من غلب عليه الحال، وأما الذي غلب عليه الحال فهو مسلوب الاختيار، وقال الشيخ يوسف العجمي في رسالته في فصل آداب الذكر: آداب الذكر سبعة عشر، ثم قال بعد عد الكل: وهذه الآداب تصعب على المبتدي وتسهل على غيره، وكلها إنما تلزم الذاكر إذا كان واعيا في عقله ومختارا في ذكره، أم إن غاب عن عقله فللغيبه يذكرها صاحبها، وأما إن سلب الذكر اختيارا فلا حرج على الذاكر ما دام مسلوب الاختيار، يستعمله كيف يشاء على أنواع مختلفة كلها محمودة وكلها مشكور عليها، فلها كلها أسرار، فربما يجري على لسانه الله إلى آخر كلامه.

وقال شيخ الإسلام البلقيني: اعلم أن صاحب الحال مغلوب، والمنكر محروم ما ذاق لذة التواجد ولا صفا له المشروب، قال السيوطي بعد نقله كلام البلقيني، قال في آخر جوابه، وبالجملة فالسلامة في تسليم حال القوم، ثم قال السيوطي في جواب له: وأجاب أيضا بمثل ذلك بعض أئمة الحنفية والمالكية، كلهم أجابوا بموافقة من غير مخالفة إلخ... كلامه.

ولا بأس أن نذكر الكيفية التي يفعلها إخواننا التجانيون، قال في الجواب المسكت بعد كلام: إنهم أي الإخوان في عشية يوم الجمعة إذا بقي للغروب مقدار ساعة واحدة يجلسون جلوس أحقر العبيد بين يدي أعز مالك غالب قاهر، ثم يفتتحون بالبسملة والفاتحة. ثم بالصلاة على رسول الله صلى

الله عليه وسلم، بأصوات تكون أولاً ضعيفة لطيفة تعلم منها الذلة والخشوع والمسكنة والخضوع، ثم يشرعون في الكلمة الطيبة، ولا يزالون يرددونها على كفيات معلومة، وجلها مذكور في الجواهر الخمس لغوت الله الشطاري، مع حركة معلومة الهيئة عندهم أيضاً، يشيرون بالنفي يمينا وشمالا، بالإثبات إلى أمام، مع الإشارة إلى القلب في جهة اليسار، وإيقاع اسم الجلالة على القلب بالقصد والإشارة، وذلك له أثر عظيم، حتى إذا غلب الإثبات عندهم بكثرة الأنوار، فيقومون حينئذ على أقدامهم إجلالا لذلك الاسم ومسامه، فيذكرون قياما بسكينة ووقار أولاً مع حركة خفيفة، ثم بعد ذلك منهم من يهتز على قدر ما يجد ويتجلى في قلبه، إما فرحا بكونه أوقفه مولاه ببابه، وإما بكونه أهله ويتجلى في قلبه، إما فرحا بكونه أوقفه مولاه ببابه، وإما أهله بذكره لحضرة أحزابه مع جملة أحبابه مع جملة أحبابه، وإما بكونه عبد لمالك الملوك الذي تولاه فتيته على الأكوان بعظمة مولاه إهـ... .

فائدة قال في البغية تنبيه: كثيرا ما يقع من الفقراء مد هاء لا إله إلا الله، أعني الهاء من إله، وكثيرا ما ينكر عليهم، وسئل عن ذلك بعض العلماء فأجاب بما حاصله أن مد هذه الهاء في تلاوة القرآن كقوله تعالى: فاعلم أنه لا إله إلا الله ((سورة محمد الآية 19)) ونحوه لا يسوغ، لأن القراءة سنة متبعة، وأما في غير تلاوة فالأمر واسع في ذلك، لأن له وجوها في العربية تقتضيه، منها أن لا تعمل عمل إن، وإله اسمها منصوب منون، فيجوز إشباع هائه وصلا إعطاء للوصل ما للوقف

ورما أعطي لفظ الوصل ما	للوقف نثرا وفشا منتظما
------------------------	------------------------

أنظر شروح الألفية، وذكر في الجواب وجوها أخرى لا نطيل بها، ثم قال والذاكر فيما وافق لغة العرب في وجه ولو وجه القلة والندور عد ذاكرا ومأجورا، ولا يعترض عليه فيما أتى به، لأن العرب كلهم فصحاء بلغاء، وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم: ليس من **امبرامصيام** في امسفر، وهو صلى الله عليه وسلم مثره عن اللحن ((أنظر بغية المستفيد للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح ص 365))

التنبيه الثاني: إذا علمت ما أسلفناه، وفي التنبيه قبل سطرناه، فقول البعض أن من أفتى بجواز ذلك مخصوص عنده بمن غلب عليه الحال، وأن هؤلاء لا يحصل لهم حال، أما أولا فليس في كلام من قال بالجواز ما يدل على التقييد بذلك كما علمت مما تقدم من كلام الأئمة، وأما ثانيا فهذا الذي قال محض سوء ظن، وقد قال عليه الصلاة والسلام: حصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن

الظن بالله وحسن الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بعباد الله ((أنظر مسند الإمام أحمد (حديث كعب بن عاصم الأشعري رضي الله عنه) رقم 23294 سنن البيهقي الكبرى (كتاب الصيام) باب تأكيد الفطر في الصيام في السفر 6: 277 رقم 8170 مسند الحميدي (حديث كعب بن عاصم الأشعري 2: 381 رقم 869 جامع الأحاديث والمراسيل (حرف اللام) رقم 18290، كثر العمال للمتقي الهندي (المجلد الثامن) 1: 1696 رقم 23856))، إذ المشاهدة والعيان ترد قوله الفضيع البهتان.

لقد تبدت فلا تخفى على أحد	إلا على أكمه لا يعرف القمر
---------------------------	----------------------------

على أنه لو سلم أنه لا يظهر على الظاهر فهل اطلع على الباطن، وقد قال عليه الصلاة والسلام لبعض الصحابة: هل شققت عن قلبه أو قال، ألم يدري أن الحضور مخصوص عند الأكابر بالباطن، حتى أنهم يعدون ظهوره دسيسة نفسانية، ولكن الجاهل كما قيل معذور، والمتعنت مغرور، اللهم عرفنا بأنفسنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

تمتات الأولى قال ابن حجر الهيتمي في الباب السادس من كتاب الأذكار ما نصه: ينبغي للمريد أن يذكر بقوة كاملة مع التعظيم بحث تأخذ حروف الذكر بجميع مخارج الحروف، ويطأطي رأسه إلى فوق سرته، ويصعد بلا إله إلا الله من ذلك الموضع، وهو محل طرو النفس **مادا** إلا الله المنكب الأيمن، ناويا بلا إله إلا الله نفي ما سوى الله عز و جل، ناويا بإلا الله اتصالها، ناظرا بقلبه إلى كبريائه وعظمته لتضمحل الخواطر كلها، ويحول رأسه إلى الجانب الأيسر، ويضرب بإلا الله بالشدة القوي، لأن القلب الشكل المودع في الجانب الأيسر تحت الثدي عظمة الصدر بحيث يؤثر في القلب إلى جميع الأعضاء، ويحضر معنى الذكر في قلبه، وتصل نار حرارة الذكر إلى القلب، وتذوب الشحمة التي فوق القلب، ولها رائحة مخصوصة حين الإحتراق، وتتبع تلك النار بعد الذكر نار ونور، ناره تخلى، ونوره يجلى، فإذا أثر ناره في جو القلب قوى الدم الغليظ الذي في وسط القلب، وهو شبه الحياة الحيوانية، ومنها تجري أنهار الدماء في الرأس إلى الأعضاء، وذلك البخار هو الروح الحيواني، وهذه النفس سارية في جميع البدن، فيتخلل أعضاء البدن تأثير الذكر، وتتأثر النفس بتأثير الذكر وتنويره، كما قالوا أن قالوا ناره تتخلى ونوره يتجلى تتبدل ظلمات النفس بالأنوار، وتزول عنها الأخلاق الذميمة، وتتخلق بالأخلاق الحميدة، يتخلى القلب من ظلمات النفس، ويزداد القلب نورا على نوره، فليستعد ليصل إلى أنوار صفات الرب جل و علا.

الثانية قال الواسطي ((أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، فقيه، أصولي، من أكابر صوفية العراق، وهو من أصحاب الجنيد والثوري استوطن بلاد خراسان، وبها توفي بعد عام 320هـ أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 99 رقم الترجمة 190.)) من قال لا إله إلا الله على العدة فهو أحمق، ومن قال بها تعجبا فهو مصروف عن الحق، ومن قالها على الإخلاص فمراده نفي الشركاء، لأن نداءه يصير مخلصا، ومن قالها على الحقيقة فقد تبطل على الشواهد إهم.. وقال ابن حجر، فصل: إذا قلت لا إله إلا الله وأنت عابد هواك ودرهمك ودينارك إذا يكون جوابك يا عبدي كذبت ما لم تكن تفعل لا تقل، لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون، تقول لا إله إلا الله وأنت عابد درهمك ودينارك وهواك، تعس عبد الدينار والدرهم، تعس عبد الخميصة ((إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم: تعس عبد الدينار والدرهم والقטיפفة والخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرضى، إهم.. أنظر صحيح البخاري (كتاب لجهاد والسير) باب الحراسة في الغزو في سبيل الله رقم 2886، (كتاب الرقاق) باب ما يتقى من فتنة لا مال رقم 6435.))، ما دمت تقول لا إله إلا الله وأنت تسكن إلى أهل ووطن، تركز إلى مال ومسكن، فقائل كل قول كذبه الفعل فهو مردود، لأن لسان الحال أفصح من لسان المقال، إذا كان قولك لا إله إلا الله يثمر معنى في قلبك فلم تعوذ بفلان، وتلوذ بفلان، وترجو فلانا مادمت تقول لا إله إلا الله، وتأنس بغيرنا، وتعتمد على سوانا، فلسنا لك ولست لنا، من كان الله كان الله له.

الثالثة قال ابن حجر نقلا عن بعض الأكابر: إذا أحببت أن تعرف من أي حزب أنت فانظر عند ذكر قوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ((سورة الأنفال الآية 2))، فإن وجل به قلبك، وخشعت به جوارحك، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، فاعلم أنك من حزب الله، إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ((سورة التوبة الآية 111))، وإن لم يخشع به قلبك، ولم تخشع له جوارحك، فاعلم أنك من حزب أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ((سورة الزمر الآية 22))، ومن لم يكن له نصيب من قوله إنما المؤمنون، أي شيء يكون نصيبه، إذا قلت لا إله إلا الله وأنت غافل القلب هل يكون لك نصيب؟ كلا وحاشا، وأما من خلا قلبه من نصيب إنما المؤمنون فلا فرق بينه وبين الصخر والحجر، ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ((سورة البقرة الآية 74))، بالله إذا

كان هذا قلب المؤمن فكيف يكون قلب الجاحد، إذا كان قلب الذاكر هكذا فكيف يكون قلب الغافل، متى تنتبه من غفلتك، وتصحو من خمر سكرتك، فتفهم ما تذكر، وتعلم ما تقول، فما لم تعلم لا تقل، وما لم تفهم لا تذكر، إذا قلت لا إله إلا الله وأنت غافل القلب، غائب الفهم، ساهي السر، فلست بذاكر، بقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون((سورة الماعون الآية 5))،

الرابعة إنما اختار أهل الله تعالى في تلك الحضرة لا إله إلا الله لأن لها تأثيرا عجيبا في حسم مادة المواد الفاسدة عن باطن المرید، وهذه الخاصية لا توجد إلا بها ولا توجد غيرها، قالوا لأنها معجون مركب من خل النفي وسكر الإثبات، وهو يقطع المواد الفاسدة الصفراوية بخلاف العاجين كلها، وذلك لأن هذه الكلمة مركبة من نفي في أولها وإثبات في آخرها، ففي لا إله إلا الله ما يزيل المواد الفاسدة التي يتولد منها مرض القلب والروح، وبإثبات إلا الله تحصل صحة القلب وسلامة الروح، وتخلص الروح من ذكر الغير والغيرية، وتشتغل بالله سبحانه، لأنه لا إله إلا الله هي الدواء القاطع لأمراض القلب الحاصلة بسبب نسيان الحق وذكر غيره.

وقد ضرب لذلك بعض الأكابر مثلا فقال: شخص أراد أن يقطع شجر بلوط في بستانه ليغرس في مكانها التفاح، فلا بد له من فأس ليقطع به الشجرة، فاستعمل فأسا من ذهب أو فضة وفأسا من الفولاذ ليقطع الشجرة، فمن المعلوم أن الفأس المستعمل من الذهب أو الفضة ليس خاصيته قطع الشجرة، وإن كان أكثر قيمة من الفأس المستعمل من الفولاذ، وإن خاصية القطع مختصة بفأس الفولاذ يعني الهند.

الخامسة إنما اختار الأكابر حركة الذكر يمينا وشمالا لإشارة دقيقة ورموز معنوية لا يفهمها إلا أرباب المعاني، وقد ضرب بعض العارفين لذلك مثلا فقال: مثل النفس مع الجسد كمثل الزبد فكذلك كل عضو من الجسد لا يخلو من النفس، أو يقال مثل القلب مع النفس كمثل الزبد مع اللبن، يعني كل صفة من الصفات المذمومة القبلية، فإذا عرفت هذا فالمرأة البدوية والفلاحة إذا أرادت أن تخرج الزبد من اللبن وتصفية منه، تعمل اللبن في قربة يعني شكوة ونحوها، وتحركه حركة شديدة زمنا طويلا حتى تصفي الزبد وتميزه من اللبن المخيض، فكذلك المرید الطالب لصفاء قلبه وأحواله من سوء النفس ومن الأخلاق الذميمة، يحتاج في ابتداء أمره إلى الحركة الشديدة في الذكر فافهم.

السادسة اعلم أن الذكر مع الغفلة يورث الذكر مع الحضور، قال التاج ابن عطاء الله في الحكم: لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور، وفي الحديث: إذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم ((أنظر سنن البيهقي الكبرى (كتاب الصيام) باب المريض يفطر ثم لم يصح حتى مات فلا يكون عليه شيء 6: 298 فتح الباري شرح صحيح البخاري (كتاب تقصير الصلاة) 3: 301 (كتاب الاعتصام) 15: 173))، قيل لأبي عثمان: إنا لنذكر ولنجد في قلوبنا حلاوة الذكر، فقال: احمدا الله الذي زين جارحة من

جوارحك بطاعته، وقال بعض العارفين: سيروا إلى الله عرجا ومتكسرين، ولا تنتظروا الصحة فإن انتظارها تظالم، وطلب التوفيق توفيق،

وقال الإمام القشيري ((عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري، شيخ في خراسان في عصره، فقيه مفسر مؤرخ صوفي، من كتبه: الرسالة القشيرية، و لطائف الإشارات والتيسير في التفسير والتفسير الكبير. توفي رحمه الله بنيسابور عام 465هـ عن 89 سنة، أنظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ج 3 ص 243 وفي الأعلام للزركلي ج 4 557 وفي كشف الظنون لحاجي خليفة ص 520 و 1551)) رضي الله عنه: بذكر اللسان يصل الذاكر إلى استدامة القلب، وقال أبو عثمان: من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد حلاوة الذكر، فجاهد نفسك يا أخي فإن المجاهدة تورث كل خير وتزيل كل سر، قال جل من قائل: والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا الآية ((سورة العنكبوت الآية 69))

السابعة قال الهيثمي في الباب السادس من كتاب الأذكار ما نصه: اعلم رحمك الله أن الذكر بالنسبة للذاكر ثلاثة أقسام: القسم الأول: ذكر تقليدي وهو يأخذه الشخص بالعادة من أفواه الناس، يحصل به الثواب عند الله بشرط الإخلاص، وليس له أثر في دفع الوساويس الشيطانية وخواطر النفس الأمارة بالسوء، القسم الثاني: ذكر تعليمي وهو الذي يتعلمه المرید الصادق بعد التوبة عن شيخه، يحصل به الثواب على شرط الإخلاص ولكنه يؤثر في دفع الوساويس و الهواجس، ويحصل به صفاء الباطن، وتنوير القلب، ومشاهدة الأنوار، ويصل أثره إلى القلب، ويصير القلب بهذا الذكر إن شاء الله إن كان ذكر شيخه متصلا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالتلقين

خلفا عن سلف، ولها فلا يكون ذكرا تعليميا بل يكون ذكرا تقليديا ليس له أثر، فأما المقصود الأصلي المطلوب من الذاكر فهو رفع الحجب ونسيان ما سوى المذكور، ولا يحصل ذلك إلا بالقسم الثالث وهو الذكر التلقيني، وهو الذي يتلقنه المرید الصادق، والتائب المجاهد السالك عن شيخ مرشد عارف كامل محقق متصلا تلقينه بالنبي صلى الله عليه وسلم.

الثامنة يمنع حضور الحدث أي الأمرد في مجالس الذكر، والعلة في ذلك ما ذكره في البغية ونصه: وأما الحدث سنا فإنه مظنة للفتنة، ولاسيما إذا كان ذا وضاعة وصوت حسن واتخذ حاديا للقوم، فإن الأمر فيه خطر جدا، وتجنب مثل هذا في كل مجلس ومجتمع واجب، ولاسيما في مجالس الذكر الذي يتعرض فيها لما يرد على القلب من الفتح والشر((أنظر بغية المستفيد للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح ص 366))إهـ.. وكذا يمنع حضور النساء مجالس الذكر لما يترتب على ذلك من المفاسد.

قال مولانا في البغية: ومن ذلك أيضا حضور النساء بالقرب من حلق الذكر بحيث يسمعن نعمة الحادي وينظرون إلى الرجال الذاكرين، لما في ذلك من المفسدة المحققة عند كل لبيب نبيل، ولاسيما في هذا الزمان الرذيل، الذي تراكمت فيه الفتن، وعظمت فيه الخن، فلا يقر على هذا الفعل إلا من لم يشفق على نفسه ودينه والعياذ بالله تعالى، وفي الحديث: باعدوا بين الأنفاس الرجال وأنفاس الناس، أو كما عليه الصلاة والسلام، وقال بعض العارفين: ما أيس الشيطان من إنسي قط إلا أتاه من قبل النساء، وقال سفيان: قال إبليس لعنة الله: سهمي الذي إذا رميت به لم أخطيء النساء((أنظر بغية المستفيد للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح ص 367)).

التاسعة يجوز إنشاد الأشعار المشتمة على الأمداح النبوية وما في معناها في حضرة يوم الجمعة، بل ذلك مما يزيد للمريد هيجانا إلى حضرة الحق جل وعلا، قال في الجواب المسكت ما نصه: فإن قيل كيف يزيد سماع الأغزال وجدان الواجد، ويوجد ما فقد الفاقد، فالجواب أن ذلك من الأذواق التي لا تفي العبارة بشرحها، وقد أشار إلى ذلك في عوارف المعارف فقال: وكان الراسبي يشغل أصحابه بالسماع وينعزل عنهم يصلي فقد تطرئ النفحات مثل هذا المصلي بتزل النفس عليها متنعمة بذلك، فيزداد مورد الروح بذلك الصفاء إهـ..

وقال أبو حامد الغزالي بعد الكلام: يتزلون ما يسمعون على أحوال أنفسهم في معاملتهم لله تعالى ما يسمعون على أحوال أنفسهم في معاملتهم لله تعالى وتقلب أحوالهم، فإن للمريد لا محالة مقصد وهو معرفة الله تعالى و الوصول إليه، فإذا سمع ذكر خطاب أو عتاب، أو قبول أو رضا، أو صل أو جهر، أو قرب أو بعد، أو تلهف على ما فات أو تعطش إلى منتظر، أو شوق إلى وارد، أو طمع أو يأس، أو استئناس، أو وفاء بوعد، أو نقض لعهد، أو خوف فراق، أو فرح بوصول، أو ذكر ملاحظة الحبيب، أو مدافعة الغريب، أو همول العبرات، أو ترادف الحسرات، أو حلول الفراق، أو عسر الوصول، أو غير ذلك مما تشتمل عليه الأشعار الغزالية، فلا بد أن يوافق بعضها حال المريد في طلبه، فجرى مجرى القداح الذي يرى زناد قلبه فتشعل به نيرانه، ويفوض له انبعاث الشوق وهيجانه، وتهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته، ويكون له مجال رحب في تنزيل الألفاظ على أحواله، فالسمع يهيج الشوق إن كان تم شوق، وإن لم يكن تم شوق حاصل فالسمع يحتل به، فللكسب مدخل في الباب الأحوال، ولذلك ورد الخبر بالأمر لمن لم يحضره البكاء أن يتباكى، فإن هذه الأحوال قد تتكلف في مبادئها، إلى أن قال: فإذا انضاف إليها صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه إهـ.. من الإحياء بنقل الموافق من الجواب المسكت باختصار

وقال العارف بالله أبو محمد سيدي عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي رحمه الله في كتابه حل الرموز ما نصه: فمن ظن أن السماع يرجع إلى ذمة المعنى وطيب النعمة فهو بعيد من السماع، وإنما السماع حقيقة ربانية ولطيفة وروحانية، تسري من السميع المسامع إلى الأسرار، بلطائف التحف والأنوار بمحو من القلب ما لم يكن، ويبقى فيه ما لم يزل فهو سماع حق بحق ونقل عن الجنيد أنه سئل ما معنى السماع فقال: هو تذكار خطاب الروح من الميثاق يوم ألتست بربكم إلى آخر كلامه.

وقال الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراي رضي الله عنه: وسمعت أخي أفضل الدين يقول: الذي أراه أن السماع أقسام ثلاثة، أحدها ما هو محرم كالاستماع من أرباب اللهو، الثاني ما هو واجب وذلك كمن اصطلمه الحب في الله تعالى وأقله الشوق إلى لقائه، الثالث ما هو مباح على أصله إذ لم يرد آية بالتحريم ولا حديث صحيح إهـ.. باختصار كثير.

وقال في الزجر والإقمام نقلا عن بعضهم: إن السماع في طريق القوم معروف، ومن الجواذب إلى المحبة معدود موصوف، وقد نقل إباحته أبو طالب ((محمد بن علي بن عطية الحارثي، المشهور بأبي طالب المكي، فقيه، صوفي، واعظ زاهد، توفي عام 386 هـ أنظر ترجمته في الميزان الاعتدال

الذهبي ج 3 ص 107 وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 5 ص 300 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 274 وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 491 ((في القوات عن جماعة من الصحابة، كعبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية، وكذا عن الجنيد والسري ((سري بن المغلس السقطي، من أكابر الصوفية ببغداد خلال القرن الثالث الهجري. توفي ببغداد عام 253 هـ أنظر ترجمته في طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي ص 55-84 وفي حلية الأولياء لأبي نعيم ج 10 ص 116 وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 3 ص 13 وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 82 وفي الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 63 وفي جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج 2 ص 88. ((وذو النون واحتج له الغزالي بما يطول جلبه، وقال بعضهم:

ومن لم يحركه السماع بطيبه	فذلك أعمى القلب أعمى التصور
وأهل الحجاز أهل الحجاز وكلهم	رأوه مباحا عندهم غير منكر
وإن رسول الله قد قال زينوا	بأصواتكم أي الكتاب المطهر
فإن أك مغرى بالسماع وطيبه	فحسي اقتداء بالكريم ابن جعفر
زيادة حسن الصوت في الخلق زينة	يروم بها لحن القريض المحبر
وكل امرئ عاب السماع فإنه	من الجهل في عشوائه غير مبصر
وهام به أهل التصوف رغبة	لتهييج شوق ناره لم تسعر
وزنت لداود النبي زبوره	مزامره بالنوح في كل محضر
ولله الأرواح عند ارتياحها	إلى اللحن سر في الورى غير مظهر((

((الآبيات للشاعر محمد بن أحمد الكناني الأندلسي، المشهور بابن جبير من قصيدة له قال في مطلعها

زيادة حسن الصوت في الخلق زينة	يروم بها لحن القريض المحبر
-------------------------------	----------------------------

((

تنبيه: قال في العوارف بعد كلام: أما إذا انضاف إلى السماع أن يسمع من أمرد فقد توجهت الفتنة، وتعين على أهل الديانات إنكار ذلك، ثم من الآثار ما يدل على ذلك، ثم قال: فقد تعين على الطائفة الصوفية اجتناب مثل هذه الجماعات واتقاء مواضع التهم إهـ... .

العاشرة اعلم أن للذاكر آداباً، سابقة، ومقارنة، ولاحقة، أما السابقة فهي أن يتوب الذاكر توبة نصوحاً، خالصاً لله تبارك وتعالى بشروطها المقررة، من شرط الإقلاع ونفي الإسرار وغير ذلك قال العلماء والتوبة هي الأساس الذي تنبني عليه التقوى التي أصل الخير، ولا شك أن للإنسان قبل توبته بقلبه أمراض باطنة من غلو حقد وحسد وكبر وطمع وغير ذلك، ومعلوم أن النور لا يخالط الظلمة.

قال بعض العارفين رضي الله **عنه**: حرام على القلب إدخال النور فيه وفيه ما يكره الله من أمراض القلب التي هي كبائر كالكبر إلخ.. كلامه، قال العلماء: وأصل هذه الأمراض الباطنة أمور أربعة حب الدنيا وطلب الرياسة وترك العلم وترك العمل، وأما المقارنة فهي إخلاص النية لله تعالى، لا يقال فلان عابد، وتنظيف البقعة التي يذكر فيها، وتنظيف اللباس وتطيبه، والجلوس مستقبل القبلة إن كان وحده، وأن يذكر بنشاط وفراغ القلب مما سوى الله، يخشع بجوارحه، وأما اللاحقة فمنها إذا سكت من الذكر يحضر قلبه متلقياً لوارد الذكر، وهي الغيبة الحاصلة عقب الذكر، وتسمى النومة فلعله يرد على قلبه نور من مواهب مولاه جل وعلا ليحصل له في تلك اللحظة ما لا يحصل له بالمجاهدة في السنين المتطاولة.

دقيقة: هذه الآداب إنما تلزم الذاكر إذا كان مختاراً، أما إذا كان مسلوب الاختيار فأدابه إذاً إنما هو التسليم للحكيم العليم، إذ ربما عليه من جزيل الأنوار وجملة الأسرار، فقد يجري على لسانه الله الله الله، أو هو هو هو، أو أه أه أه، أو صوت بغير حرف كما ذلك أهل الأذواق الوجدانية، هذا ما تيسر ذكره في هذا الباب والعلم عند الله سبحانه.

إلحاق: ما قدمناه قبل من جواز الذكر على الهيئة المعروفة عشية يوم الجمعة قبل انخرام شروطه المشروطة، التي هي بغاية الحسن والكمال منوطة، وحيث انعكست الأحوال وتبدلت فلا يسوغ لأحد أن يقول بإباحته، بل يتعين ذكر الهيللة سرداً، وهو الذي عليه عمل سائر الأقطار مما عدا الديار المغربية من أول مرة، بل علماء شنقيط لا يعرفون في الطريقة إلا الذكر سرداً، وناهيك بهم من سادات قادات، وهو الذي وجدته في بعض التقايد المنسوبة للعارف الكبير مولانا العربي بن السائح قدس سره، فإنه قال فيها أنه أخذ الذكر سرداً اثني عشر مائة عن بعض الأكابر من أهل هذه الطريقة قال: وذلك الذي كنت أفعله إهـ.. وكفى به حجة في هذا الباب.

وإنما استدركت هذا الإلحاق لئلا يتوهم متوهم أبي أقول بإباحته على تلك الهيئة من غير مراعاة شروطه، فأكون ممن خالف الكافة من علماء وأعيان هذه الطريقة الأحمدية، بل سائر علماء الإسلام الذين أباحوه بالشروط، فحتى انخرمت فلا يسوغ بوجه، وقد انخرمت بالفعل، فإني أحتمي بحماية الله من مخالفة الكافة إذ ذاك عين الضلال، وأرغب إلى كل من وقف على نسخة من هذا التقييد أن يدرج فيها هذا التقييد أن يدرج فيها هذا الإلحاق رفعا لهذا التوهم، رب أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم، وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين،

خاتمة ختم الله لنا بالحسنى، وجعلنا من أهل المقر الأسنى، في الترغيب في ذكر الله تعالى، اعلم أن الذكر سبب السعادة في الدنيا والآخرة، ومطرودة للشيطان، ويرضى الرب، ويجلب الرزق ويسره، ويكسو الذاكر مهابة، ويورث محبة الله ومراقبته، ويورث الإنابة والقرب من الرب، ويورث باب المغفرة، ويورث العبد إجلالا لربه، ويورث ذكر الله للعبد، ومما يدل على أنه من أفضل الأعمال كون العبد إذا ذكر الله فإن الله عز وجل يذكره، قال جل من قائل: فاذكروني أذكركم ((سورة البقرة الآية 152))، وقال تعالى: ولذكر الله أكبر ((سورة العنكبوت الآية 45))، قال زيد وقتادة: ولذكر الله أكبر من كل شيء، وقيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه أي الأعمال أفضل؟ قال أما تقرأ ولذكر الله أبر، نقله ابن حجر. وقال تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ((سورة الجمعة الآية 10))، وقال والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد لهم مغفرة وأجرا عظيما ((سورة الأحزاب الآية 35))، وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ((سورة الأحزاب الآية 41)) قال الخطيب الشرميني في تفسير هذه الآية: اذكروا الله الذي هو أعظم من كل شيء، وتصديقا لدعوات ذلك ذكرا كثيرا، قال مجاهد أي بالليل والنهار، والبر والبحر، والصحة والسقم، والسر والعلانية إهـ..

قال ابن عباس لم يفرض اله تعالى على عباده فريضة إلا وجعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أهله في تركه إلا على عقله، وأمرهم به في كل حال فقال: اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ((سورة النساء الآية 103)) إهـ..

وقال القسطلاني عند تفسير هذه الآية: أي يداومون على الذكر بألسنتهم وقلوبهم، لأن الشخص لا يخلو عن هذه الأحوال، وفي الترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم عن أبي الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: أل أنبيكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير

لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا
أعناقهم، قالوا ماذا، قال ذكر الله ((أنظر مسند الإمام أحمد (حديث باقي حديث أبي الدرداء) 6:
252 رقم 21323، رقم 21325، سنن ابن الترمذي (كتاب الدعوات عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم) باب منه 9: 258 رقم 3508، سنن ابن ماجه (كتاب الأدب) باب فضل
الذكر 2: 1245 رقم 3873، المستدرک للحاکم النیسابوری (كتاب الدعاء والتكبير) ما عمل
آدمي من عمل أنجي له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل: 673 رقم 1861 الترغيب
والترهيب (كتاب الذكر والدعاء) الترغيب و الإكثار من ذكر الله 2: 253 رقم 2294، رياض
الصالحين (كتاب الأذكار) 1: 257 رقم 1441.))، وروى ابن ماجه وابن حبان مرفوعا أن
الله عز وجل قال أنا عند ظن عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفثاه ((أنظره أيضا في صحيح
البخاري (كتاب التوحيد) وقول الله تعالى: لا تحرك به لسانك وفعل ذلك رسول النبي صلى الله
عليه وسلم حين يتزل عليه الوحي الباب 43))، وروى الترمذي وابن حبان وابن ماجه وقال
صحيح الإسناد أن رجلا قال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء آتية،
قال لا يزال لسانك رطبا بذكر الله ((سبق تخريج هذا الحديث في ص 23))، وفي البخاري عن أبي
موسى الأشعري ومسلم مرفوعا مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي الميت ((أنظر
صحيح البخاري (كتاب الدعوات) باب فضل ذكر الله عز ول رقم 6407))، وروى الطبراني و
البيهقي مرسلًا: اذكروا الله كذر حتى يقول المنافقون إنكم **مراؤن** ((أنظر مجمع الزوائد للهيثمي
(كتاب الأذكار) باب فضل ذكر الله تعالى 10: 74 رقم 16762. الترغيب والترهيب (كتاب
الذكر والدعاء) الترغيب في الإكثار من ذكر الله 2: 256 رقم 2305. الفتح الكبير في ضم
الزيادة إلى الجامع الصغير (حرف الهمزة) 1: 163 رقم 1582، جامع الأحاديث والمراسيل
(حرف الهمزة مع الذال) 1: 280 رقم 1899، كثر العمال/ للمتقي الهندي (المجلد الأول) 1:
135 رقم 1576.))، وروى الإمام أحمد والطبراني أن رجلا قال: يا رسول الله أي المجاهدين
أفضل وأعظم أجرا؟ قال: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا، قال: فأأي الصائمين أفضل أجرا؟ قال:
أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا، ثم قال: الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول: أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا، فقال أبو بكر لعمر: يا أبا حفص ذهب
الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل ((أنظر مسند الإمام أحمد) حديث
معاذ بن أنس الهبيني رضي الله عنه) 4: 461 رقم 15310، مجمع الزوائد (كتاب الأذكار) باب

فضل الله تعالى و الإكثار منه 10: 71 رقم 16748، الترغيب و الترهيب (كتاب الذكر

والدعاء) الترغيب في الإكثار من ذكر الله 2: 257 رقم 2309.))

وفي لوائح الأنوار القدسية سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول: ما تم كرامة أفضل من ذكر الله تعالى، لأنه يصير جليسا للحق كلما ذكره، وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه: الذكر منشور الولاية و منار الوصلة فمن أعطي الذكر فقد أعطي منشور الولاية، يريد جلوسه على بساط الولاية إهـ... نقله في جواهر المعاني،

وقال أبو سعود ابن أبي العشائر في كتاب المرید الصادق: الإكسير الذي يقلب طينة العبد ذهباً خاصاً هو الإكثار من ذكر الله تعالى، وقال سيدي عبد الوهاب الشعراي رضي الله عنه في كتاب الأذكار له بعد نقله هذا ما نصه: قلت وإيضاح ذلك أن الحق تعالى لا يقرب إلى حضرته إلا من استحيا منه حق الحياء، ولا يصح إلا بملازمة الذكر، وهي طريق يصل بها المرید بسرعة والله أعلم. وقال الإمام الشبلي رحمه الله تعالى، يقول الله: أنا جليس من ذكرني، ما استفدتم من مجالسة الحق؟ ومن خصائص الذكر أنه غير موقت، بل كل وقت وقته، بخلاف الصلاة فإنها وإن كانت أشرف العبادات فإنها قد تكون ممنوعة في بعض الأوقات.

وروى السهروردي بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال حاكيا عن ربه: إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي، وجعلت همته ولذته في ذكري، عشقني وعشقتني، ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه، لا يسهو إذا سهى الناس، أولئك كلامهم الأنبياء، أولئك الأبطال الأبدال حقا، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة وعذابا ذكرتهم فصرفته به عنهم.

وقال الإمام النووي: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله، وقال أبو سليمان الداراني إن في الجنة قيعانا، فإذا أحدث الناس في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار، وربما يقف بعض الملائكة، فيقال له لم توقفت؟ فيقول فتر صاحبي، وقال أبو مدين التلسماني: من دامت أذكاره صفت أسراره وان في حضرة الله تعالى قراره، وقال سيدي إبراهيم المتبولي: الذكر أسرع في الفتح مكن سائر العبادات، وقال أيضا: لا يحصل لأحد مقام الإخلاص الكامل إلا بالذكر.

وقال ابن حجر في كتاب الأذكار ما نصه: ولقد سمعت بعض العرفين رضي الل عنهم يقول: لما كنت أنظر لأخلاق النفس الذميمة فتظهر علي كثوب الهبات، إشارة إلى سوادها وتراكم ظلماتها، قال: فلا أزال أذكر إلى أن يذهب ذلك كله، ثم يظهر لي بعد ذلك خلق آخر أيضا كالأول، فلا أزال أذكر إلى أن يذهب، وزكت نفسي و صفيت من الكدورات، وذهبت أخلاقها الذميمة،

وتبدلت كل صفت مذمومة بصفة محمودة إهـ.. ونقل أيضا عن سيدنا علي كرم الله وجهه: العلم علمان علم الربوبية وعلم العبودية، والباقي هوى النفس والعجب، فمن دخل هذه الطريقة وأراد أن يصل إلى علم الحقيقة، وقد حصل من الاصطلاحات ما يستخرج به المعاني من كلام الله تعالى، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يستخرج بغير ذكر الله وعدم مراقبته والاعتراض لما سواه، لينصب على قلبه من العلوم اللدنية التي لو عاش ألف سنة في تدريس الاصطلاحات وتصنيفها لا يشم منها رائحة، ولا يشاهد من آثارها وأنوارها لمعة إهـ..

وقال سيدنا حجة الله أبو العباس التجاني رضي الله عنه: وأعظم النوافل تقربا الذكر، وكذلك الصلاة بتعاهدها بالحضور القلبي، لأنها مثل الذكر لا يزال مرة يستريح حتى إذا رأى الحق منه ذلك صب في قلبه من مواهب أنوار الهيبة ما شغلت القلب عن غير الله تعالى، وملائته بذكر الله تعالى، وصار القلب بسبب ذلك مطمئنا بذكر الله، ومن الطمأنينة ينتقل إلى المراقبة، وهي حالة عزيزة ما نالها إلا الأفراد، يعني أفراد السالكين، فإنها إن دامت للعبد وتمكن أمرها من القلب خرجت به إلى الذهول عن الأكوان، ثم إلى السكر عنها، وهو أعلى من الذهول، ثم إلى الفناء عن الأكوان مع شعوره بفنائه، ثم إلى الفناء عن الفناء، فإذا وصل إلى هذا الحد انمحق الغير والغيرية بهدم جميع الرسوم والأطلال وانمحق جميع الآثار، فلم يبق إلا الحق بالحق في الحق عن الحق، وهو باب المدخل إلى محبة الذات، وهي غاية الغايات، فإذا وصل العبد إليها ارتفع الحجاب له عن القدسية، وطلعت له شمس المعارف، فرفعت له الأستار عما في الحضرة الإلهية من العلوم والمعارف، والأسرار والأنوار والأحوال العالية، والأخلاق السنية الكريمة، والتوحيد والتجريد والتفريد، والحكم والحقائق والعجائب التي لا تعرف ولا تذكر، وهي غاية الغايات، وأكثر ما يوصل إليها من النوافل الذكر بملازمته ومعانقته له، فإن الذكر هو الذي يأتي بالمواهب إهـ.. كلام شيخنا قدس سره. هذا للذكر فوائد ونتائج منها أنه حصن الله العظيم، ففي الحديث القدسي: لا إله إلا الله

حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي ((أنظر كثر العمال، للمتقي الهندي (المجلد الأول) 1: 30 رقم 158))، ومنها أنه سبب السعادة الدنيوية والأخروية، ومنها أنه يزيل الهم والغم، ومنها أنه يورث الرحمات، ومنها أنه يجلب الفرح والسرور، ومنها أنه ينور القلب والوجه في الدنيا والآخرة، ومنها أنه يكسو الذاكر مهابة وحلاوة، ومنها أنه يورث المحبة لله، ومنها أنه يورث المراقبة، ومنها أنه يورث الإنابة إلى الله عز وجل، ومنها أنه يورث القرب إلى الله، ومنها أنه يورث ذكرا لله له، قال منجل قائل فاذكروني أذكركم ((سورة البقرة الآية 152)) ومنها أنه يورث حياة القلب،

ومنها أنه قوت الروح وغذاؤها، ومنها أنه جلاء للقلب من الصدا و الران، ومنها أنه يمحو الخطايا ويزيلها، ومنها أنه يزيل الوحشة بين العبد وربّه، ومنها أنه باب الهدى وطريقه، ومنها أنه سبب الولاية، ومنها أنه سبب الاستقامة، ومنها أنه سبب التوبة، ومنها أنه سبب المجاهدة، ومنها أنه سبب الزهد الذي هو ترك ما زاد على الحاجة، إلى غير ذلك من فوائده.

وقد ذكر ابن حجر الهيثمي في كتاب الأذكار منها مائة، منعي من سردها خوف التطويل، وهذا حاصل ما أردنا ذكره في هذا الكتاب، والاختصار كيفي لذوي الألباب، وقصدي بجلب هذه النقول في هذه العجالة بيان خطأ هذا المنكر على أهل الله تعالى، وإن حاله كما قال القائل،

كناطح صخرة يوماً ليونها	فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل(())
-------------------------	--------------------------------

((البيت للشاعر ميمون بن قيس، المعروف بالأعشى، وهو البيت التاسع والأربعون من قصيدته التي يقول في مطلعها:

ودع هريرة إن ركب مرتحل	وهل تطيق وداعاً أيها الرجل
غراء فرعاء مصقول عوارضها	تمشي الهويينا كما يمشي الوجى الوحل

((

وكما قال آخر:

كضرائر الحسناء قلب لوجهها	حسدا وبغضا إنه لذميم(())
---------------------------	--------------------------

((البيت للشاعر أبي الأسود الدؤلي، من قصيدة له افتتحها بقوله:

حسدوا الفتى إذا لوم ينالوا سعيه	فالقوم أعداء له وخصوم
---------------------------------	-----------------------

((

وأقول كما قال قائل:

لست أدري ماذا أقول وإني	ضاق درعي من ترهات التقول
غير أني أستغفر الله مني	وقصوري مع ادعاء التفعّل
ولربي كل الأمور له الحمد	دواما وقد أدام التفضل

وأخرج أبو نعيم في الحلية والبغوي عن سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: من أراد أن يكتال بالملكيات الأوفى من الأجر فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه: سبحان ربك العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين((أنظر جامع الأحاديث والمراسيل (حرف

الياء) 18: 253 رقم 5681 (حرف الميم) 7: 230 رقم 22100 الأذكار للنووي (باب ما
يقوله عند القيام من المجلس) 1: 299 رقم 889، كتر العمال، للمتقي الهندي (المجلد الثاني) 1:
277 رقم 4076، رقم 4976، رقم 3481، مصنف الصنعاني (كتاب الصلاة) 2: 231
رقم 3193.))، كتب بمدينة دمناات بقلم جامعه محمد بن محمد الحجوجي، وفرغ منه يوم
الثلاثاء 17 رمضان عام 1353هـ.